

مشاهد يوم القيامة

المشهد الثاني عشر: «مشهد السؤال عن النعم»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الحادي عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: «مشهد السؤال عن الصلاة».

وتبين لنا عباد الله أن العبد إذا عُرض على ربه للحساب ووقف بين يديه، ليس بينه وبينه ترجمان فإن أول ما يُسأل العبد عنه هو الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر.

● وقلنا يا عباد الله: إنه أفلح وأنجح لأنه خرج من الحساب إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض كما أخبرنا ربنا جل وعلا في كتاب، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ إلى أن قال رب العزة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١]، أما الذين ضيعوا الصلاة، أما الذين تركوا الصلاة فقد خابوا وخسروا، وذلك يا عباد الله لأنهم يخرجون من الحساب إلى نار حامية كما أخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه.

قال تعالى عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٣].

● واعلموا عباد الله أن تارك الصلاة الجاحد لها المنكر لفرضيتها كافر خارج عن ملة الإسلام، إذا مات لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في قبور المسلمين، بل يسحب من رجليه ويدفن في الصحراء كما يُفْعل بالدواب.

• أما من ترك الصلاة وهو مؤمن بها، ومعتقد بأنها فرض من الله ولكنه تركها تكاسلاً فهو على خطر عظيم، وهو على شفا جرف هار، فإن لم يتب فسيندم في وقت لا ينفع فيه الندم، هذا الذي يقر بالصلاة وتركها كسلاً إِنْ مات على التوحيد فهو في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الثاني عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو: «مشهد السؤال عن النعم».**

عباد الله! اعلموا أن النعم التي تتقلبون فيها بالليل والنهار هي من الله وحده كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

• واعلموا عباد الله أن نعم الله عليكم كثيرة وكثيرة جداً، كما قال رب العزة: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

• واعلموا أن الله أنعم عليكم هذه النعم، وأمركم أن تشكروه عليها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل: ١١٤].

• واعلموا عباد الله أن الله ﷻ وعدكم في كتابه بأنكم إذا شكرتم هذه النعم زادكم منها وأبقاها لكم، وإن كفرتم بهذه النعم أبادها من أيديكم وعذبكم عذاباً شديداً كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

فالجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً.

ابن آدم:

إذا كـنـتَ فـي نـعـمـةٍ فـارعْـهَـا … فـإنَّ الـمَـعَـاصـي تُـزيـلُ الـنِّـعَـمْ

وحافظْ عليها بشكرِ الإلٰهِ فإنَّ الإلهَ شديدُ النِّقَمْ

عباد الله! إعلموا أنكم إذا رجعتم ووقفتم بين يدي الله يوم القيامة للحساب والجزاء فسيسألكم ربكم عن كل هذه النعم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤]، أي: عن كل شيء، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ١ ـ ٨].

ويقول ﷺ: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عُمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»(١).

عباد الله! الفراغ والعمر نعمة تُسأل عنها يوم القيامة، الصحة نعمة تُسأل عنها يوم القيامة، المال الذي بين أيدكم نعمة تسألون عنه يوم القيامة، العلم نعمة تُسأل عنه يوم القيامة.

ابن آدم! إذا علمت أنك لله عبد، وأنك إليه راجع فاعلم أنك موقوف ـ أي بين يدي الله للحساب وللجزاء ـ وإذا علمت أنك موقوف فاعلم أَنك مسئول وإذا علمت أنك مسئول فأعدَّ للسؤال جواباً، عباد الله فليتصور كلٌ منا نفسه الآن وهو في أرض المحشر، وقد نودي عليه للحساب وللجزاء وكأني بالملائكة وقد أخذتك وقدمتك للوقوف بين يدي الله فسألك ربك يا ابن آدم عن عمرك في هذه الدنيا أين قضيته؟ أيستطيع كل منا أن يجيب يا عباد الله؟ كل منا يعرف أين يقضي وقته: أمام شاشات المفسديون أم في القيل والقال، أم في دور السينما، أم في

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٤١٧)، مي: (٥٣٧)، طب: (٢٠/ ٦٠)، ع: (١٣/ ٣٥١)، بز: (٤/ ٢٦٦)، ش: (٧/ ١٢٥)، [«ص.غ.هـ» (١٢٦)].

أماكن اللهو واللعب، أم في الغيبة والنميمة، أم في الإفساد بين الناس، أم في الذهاب إلى بلاد الكفر، أم في الليالي الحمراء، كل منا يعرف أين يقضي وقته.

• ***عباد الله!*** مر رجل من الصالحين على مقهى فرأى مَنْ جلسوا بها وهم يلعبون ويلهون، فقال: لو كانت الأوقات تُشترى بالذهب لاشتريت أوقات هؤلاء. الوقت، العمر، الشباب سنُسأل عن العمر عامة، وعن فترة الشباب خاصة، لأنها هي الفترة الذهبية في عمر الإنسان.

فانظروا إلى شباب المسلمين ـ إلا من رحم ربي ـ كيف يقضون أوقاتهم وشبابهم، شباب تشبهوا في لباسهم وأشكالهم بالكفار وتراهم يضيعون أوقاتهم على نواصي الشوارع وفي الأزقة يطاردون النساء هنا وهناك، فهل هؤلاء هم الشباب الذين تنتظرون أن يحرروا الأقصى؟! هل هذا هو الشاب المسلم يا عبادَ الله؟ هل فيهم أحد كأسامة بن زيد الذي قاد جيشاً حين كان عمره سبعة عشر عاماً؟ تصور أيها الشاب أنك قد وقفت بين يدي ربك يسألك عن هذا العمر، وعن هذا الشباب أين قضيته؟ أجب يا ابن آدم، كلٌّ منا سيموت ويسأل عن عمره فيما أبلاه، فيما أفناه، أجب! أيها المسلمون أعدوا للسؤال جواباً، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، استيقظوا قبل أن تندموا، الوقت، العمر، الصحة هذا رأس مالك فإذا ضاع الوقت في معصية الله، وذهبت الصحة في معصية الله فمتى تعبد ربك؟ متى تصلي؟ متى تصوم؟ متى تقرأ القرآن؟ متى تتعلم؟ متى تصلح بين الناس، متى تأمر بالمعروف ومتى تنهى عن المنكر؟ متى؟ بعد الموت!؟ لا عمل بعد الموت فقد انتهى وقت العمل وجاء وقت الحساب، أنت الآن في دار العمل ولذلك فالعاقل من اتعظ بغيره، والله ﷻ ـ حتى لا يكون للناس عليه حجة يوم القيامة ـ بيَّن لنا حال المفرِّطين، فهذا مفرط يندم عند الموت، ومفرط يندم يوم القيامة، ومفرط يندم على أبواب جهنم، ومفرط يندم داخل جهنم ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

• فاسمعوا ماذا يقول هذا المفرط الذي ضيع وقته في القيل والقال، وفي معصية الله حتى نزل به الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩]، انظروا إلى هذا الذي بلغت روحه الحلقوم، وكأنكم تسمعونه يقول: رب ارجعون، رب ارجعون، رب ارجعون، لم يا عبد الله؟ لعلي اعمل صالحاً فيما تركت، كلا، أتريد أن ترجع إلى الدنيا! إنك منها جئت أيها الكذاب، ثم تقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً، لعلي أقول: سبحان الله، لعلي أصلي ركعتين، لعلي أحافظ على صلاة الجماعة، لعلي أحضر درساً علمياً، لعلي أحفظ آية من كتاب الله، واللهِ كل مفرط سيقول ذلك عند الموت، فاتعظ يا عبد الله واعتَبر نفسَك الآن في فراش الموت تقول: رب ارجعون، ويقال لك: كلا، ثم احمد الله أنك ما زلت في دار الدنيا تستطيع أن تستعتب، وأن تتوب، تستطيع أن ترجع إلى ربك قبل أن ينزل بك ملك الموت، فسارع بالتوبة يا عبد الله.

• وهذا مفرط يندم يوم القيامة في وقت لا ينفع فيه الندم: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤]، فحياتنا هذه ليست هذه هي الحياة! الحياة الحقيقية في الآخرة إما في دار النعيم، وإما أبدية في دار الجحيم، إما جنة وإما نار.

ابن آدم: يقول الإنسان يوم القيامة: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]، فتخيل أن هذا حالك في أرض المحشر، تقول: يا ليتني قدمت لحياتي، واتعظ اليوم وأنت في دار العمل وتب إلى الله.

• وهذا مفرط على أبواب جهنم يتمنى أن يرجع إلى الدنيا: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧].

• وهذا مفرط بل كل أهل النار ممن قد فرطوا في جنب الله، اسمع ماذا يقولون، قال تعالى عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ

عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

أي: لقد جاءتكم الرسل وسمعتم المواعظ، ثم أنتم اليوم تريدون الخروج مِنَ النار لتعملوا صالحاً!! هيهات، هيهات قد فات الأوان.

فهل لا يزال كثير من الناس يسمعون وكأنهم لا يسمعون، وكأن هذا الكلام ليس لهم؟!.

ابن آدم! الموت يأتي بغتة، وأنت في هذه الدنيا خلقت لعبادة الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

أنت اليوم أقرب للموت من الجمعة الماضية، وفي الجمعة القادمة ستكون أقرب إلى الموت من هذه الجمعة، لذلك فانتبه، استيقظ، وتزود من عمرك للمعاد، تزود وٱجمع خير زاد.

تَزَوَّدْ مِنْ مَعَاشِكَ لِلْمَعَادِ   وَقُمْ للهِ وَاجْمَعْ خَيْرَ زَادِ
ولا تجمعْ مِنَ الدنيا كثيراً   فإنَّ المالَ يُجْمَعُ للنفادِ
أترضىٰ أن تكون رفيقَ قومٍ   لهم زاد وأنتَ بغيرِ زادِ

ابن آدم!

العمر ينقضي والأيام تمر، والموت يأتي بغتة فمتى تتزود؟

نسير إلى الآجال في كلِّ لحظةٍ   وأيامُنا تُطوى وهنَّ مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقا كأنه   إذا ما تخطتْهُ الأمانيُّ باطلُ
ترحل من الدنيا بزادٍ منَ التقى   فعمرُكَ أيامٌ وهنَّ قلائِلُ

ابن آدم!

تزودْ منَ التقوى فإنك لا تدري   إذا جَن ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ

فكمْ منْ صحيح ماتَ منْ غير علةٍ وكمْ من عليل عاشَ حيناً منَ الدهرِ
وكم من صغار يُرتجى طولُ عمرهم وقد أدخلت أجسادُهم ظلمةَ القبرِ
وكم من فتىً يُمسي ويصبحُ ضاحكاً وقد نُسِجَتْ أكفانَه وهوَ لا يدري
وكم منْ عروسٍ زينوها لزوجها وقدْ قُبضَت أرواحُهُم ليلةَ القدرِ

ابن آدم! يقول لك رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»[(١)]. اليوم حياة، وغداً موت، اليوم صحة وغداً مرض، اليوم فراغ وغداً شغل، اليوم شباب وغداً شيخوخة، اليوم غنىً وغداً فقر، لذلك يقول ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[(٢)]، ويقول ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[(٣)]، ويقول ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[(٤)].

فيا عباد الله، بادروا بالأعمال الصالحة، فالله سائلكم يوم القيامة عن هذا العمر فيم أفنيتموه وعن شبابكم فيم أبليتموه.

ابن آدم! ولا تزول قدمك يوم القيامة حتى تُسئل عن المال من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته، المال يا أصحاب الأموال من أين؟ وفيم؟ وليتصور كل منا الآن نفسه واقفاً بين يدي ربه يسأله عن ماله: من أين اكتسبته؟ أجب يا ابن آدم من أين اكتسبت هذا المال؟ إن كان من الرشوة فستقول: يا رب من الرشوة، فيقول لك: أما تعلم أني لعنت الراشي والمرتشي.

---

(١) **صحيح**: ك: (٤/ ٣٤١)، ش: (٧/ ٧٧)، هب: (٧/ ٢٦٣)، حل: (٤/ ١٤٨)، [«ص.ج» (١٠٧٧)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).

(٣) **صحيح**: خ: (٦٠٤٩).

(٤) **صحيح**: م: (١١٨).

إذا كان من المعاملات الربوية ـ وكثير من أصحاب الألوف والملايين يُرابون بأموالهم في هذا الزمان ـ فستقول: من الربا، فيقول لك: أما علمت أني أعلنت الحرب على آكل الربا؟ أو ستقول: من الغش والكذب والسرقة، ماذا تقول لربك؟! فليعرف كل منا كيف يجمع ماله، فهناك من الناس من لا يجمع ماله إلا بالكذب، والحلف الكاذب.

وستسأل أيضاً فيم أنفقت هذا المال؟ فهل ستقول: في (شمَّات الهواء) في بلاد أوربا!؟ أو ستقول: اشتريت بهذا المال (ستالايت)، اشتريت بهذا المال مفسديون، دخنت بهذا المال، اشتريت ألبسة خليعة لزوجتي وابنتي، شربت به الخمر؟! إياك أن تظن أن أحداً غيرك سيسأل عن مالك لا، أنت وحدك ستسأل عن هذا المال من أين وفيم؟ فإياك أن تكون عبداً للمال تتعب في جمعه وتندم عند فراقه وتُسئل عنه يوم القيامة.

• ويسأل العبد كذلك عن علمه الشرعي ماذا عمل فيه؟ والعلم الشرعي نعمة عظيمة. وإذا تعلم العبد علم الكتاب والسنة، وعمل بما تعلم وعَلَّم الناس ذلك ابتغاء مرضاة الله فإن هذا العلم يرفعه في الدنيا والآخرة قال ـ تعالى ـ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

• وهذا العلم سيورثه الخشية لله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

• ثم هذا العلم ينوِّر لك الطريق، فبالعلم الشرعي تستطيع أن تميز بين الكفر والإيمان، وبين التوحيد والشرك، وبين السنة والبدعة، وبين الحلال والحرام، أما من كان جاهلاً فهو أعمى يقع في معصية الله وهو يظن أنه يحسن صنعاً.

• أما من تعلم العلم ابتغاء الدنيا ومناصبها، ومن تعلم علم الكتاب والسنة ليقال له: عالم، أو ليشار إليه بالبنان فياويح أمه يوم القيامة لأنه

سيقال له يومها: كذبت ثم يسحبُ على وجهه إلى نار جهنم.

يقول ﷺ: «**من تعلم علماً مما يُبتغى به وجهَ الله ﷻ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة**»(١) يعني: ريحها.

عباد الله! نِعَمُ الله علينا كثيرةٌ وكثيرة جداً، والله ﷻ قد وعدنا بأن من شكر هذه النعم زاده، ومن كفر بها عذبه عذاباً أليماً، والعبد إذا علم أنه سيسأل عن هذه النعم فلا بد له أن يتقي الله ﷻ، وأن يستخدم هذه النعم في طاعة الله، وأن يتقرب إلى الله بهذه النعم، وأن يكون شاكراً لله على هذه النعم، والعبد لا يكون شاكراً لله ﷻ إلا إذا أقام شكره على أربعة أركان، فإن كثيراً من الناس يظن أنه إذا قال: الحمد لله، وقَبَّل يديه باطناً وظاهراً يكون بذلك قد شكر الله، لا يا عبد الله، الله ﷻ لا يريد منك ذلك إنما يريد منك أن تقيم شكرك على هذه الأركان الأربعة التالية:

الركن الأول: أن تعتقد في قلبك أن ما بك من نعمة فهي من الله وحده، وأن تَدين لله ﷻ بأن ما بك من نعمة من سمع وبصر وزوجة وأولاد ومال، وغيرها من نعم فهي من الله وحده، والفضل فيها لله وحده، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

الركن الثاني: أن تُحدِّثَ بنعم الله عليك، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١].

الركن الثالث: أنْ تستخدمَ هذه النعم في طاعة الله، وأن تتقرب بها إلى الله؛ فهو سبحانه أعطاك البصر ـ وهو نعمة عظيمة ـ فتقرب بها إلى الله، وأعطاك نعمة السمع فتقرب بها إلى الله، وأعطاك نعمة اللسان والكلام فتقرب بها إلى الله، وأعطاك نعمة المال فقل به هكذا وهكذا في سبيل الله.

---

(١) **صحيح لغيره**: د: (٣٦٦٤)، هـ(٢٥٢)، حم: (٢/٣٣٨)، حب: (٧٨)، ع: (١١/٢٦٠)، ش: (٥/٢٨٥)، ك: (١/١٦٠)، [«ص.غ.هـ» (١٠٥)].

الركن الرابع: أن تشكر الله على هذه النعم بالعمل لأنَّ الله قال لآلِ داود ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣]، ما قال لهم: قولوا آل داود شكراً، فشكر النعم يا عباد الله يكون بأن تحافظ على الصلاة في المسجد في جماعة، وأن تتعلم علم الكتاب والسنة، وأن تخرج الزكاة، وأن تتصدق على الفقراء والمساكين، وأن تصل الرحم، وأن تقوم بنعم الله لشكر الله ﷻ، عندها يدخلك الله ﷻ الجنة بهذه النعم فتكون حجة لك لا عليك، وإلا فستقف بين يدي الله ﷻ ويسألك يوم القيامة عما ٱسترعاك من النعم.

«اللهم إني أسألك رضاك والجنة
وأعوذ بك من سخطك والنار»





مشاهد يوم القيامة

المشهد الثالث عشر:
«اقتصاص المظالم بَيْنَ الخلق»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الثاني عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد: «السؤال عن النعيم»، وتبين لنا عباد الله، أن الله ﷻ وحده هو الذي أنعم علينا بهذه النعم، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

وقد وعدنا الله ﷻ بأن من شكر هذه النعم زاده، ومن كفر بها عذبه عذاباً أليماً كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧].

وتبين لنا عباد الله بأن الله ﷻ سائلنا يوم القيامة عن هذه النعم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨]. وكما قال ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عُمُره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»[1].

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الثالث عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد «اقتصاص المظالم بين الخلق»**.

عباد الله! إذا فرغ الله ﷻ من محاسبة العباد فيما يتعلق بحقه عليهم

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٢٠١.

أذن الله ﷻ لدواوين المظالم أن تنصب، وأن تنشر ليقتص الله ﷻ للمظلوم مِنْ ظالمه، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧]، حتى أن ربنا جل وعلا يقتص يوم القيامة للبهائم، يقتص للشاة الجلحاء التي لا قرون لها من الشاة القرناء، قال ﷺ: «**لَتُؤدنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[(١)].

يوم القيامة ترد الحقوق إلى أهلها، ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾، فيا أيها الظالم ستدفع الثمن غالياً يوم القيامة.

عباد الله! أتدرون كيف تؤدى الحقوق يوم القيامة عند الله؟ أتدرون كيف يأخذ المظلوم حقه من الظالم يوم القيامة؟ إنها الحسنات والسيئات؛ يأتي المظلوم يوم القيامة فيأخذ بتلابيب الظالم، فيأخذ حقه من الظالم حسنات، فإن فنيت حسنات الظالم أُخِذَ مِنْ سيئات المظلوم فطرحت على الظالم، ولذلك قال ﷺ: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه، أو شيء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فَحُمِلَ عليه**»[(٢)].

عباد الله! تخيلوا معي الآن أن دواوين المظالم قد نُصبت وكل إنسان ظلم يعرف في أي شيء ظلم، وكل إنسان مظلوم يعرف ظالمه يوم القيامة.

وتصوروا معي عباد الله هذا الظالم، وقد وقف بين يدي ربه ووقف المظلومون حوله يأخذون بتلابيبه أمام الجبار ﷻ، فيأخذ هذا المظلوم من حسنات هذا الظالم، ويأخذ هذا المظلوم من حسنات هذا الظالم... وهكذا فإن فنيت حسنات هذا الظالم أُخذ من سيئات أولئك المظلومين فطرحت عليه ثم طرح في النار، يقول ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا:

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨٢).
(٢) **صحيح**: خ: (٢٣١٧).

المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»(١).

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩].

ويقول ﷺ محذراً من الظلم: «**من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة**»، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «**وإن قضيبٌ من أراك**»(٢)، أي: وإن كان عود سواك. ويلك أيها الظالم! ويلك يا من تعتدي على جارك! ويلك أيها الظالم يا من حرمت الإناث وأعطيت الذكور! ويحك أيها الظالم يا من تضع المسلمين في السجون وتضربهم على ظهورهم! ويلك أيها الظالم يا من تأكل مال اليتيم! ويلك أيها الظالم يا من تزوجت بأكثر من امرأة وملت إلى إحداهن دون الأخرى ويلك يوم القيامة!

يقول ﷺ لأصحابه يوماً: «**إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار**»(٣).

فليحذر الذين يذهبون إلى المحاكم، ويشهدون الزور، ويحلفون أيماناً كاذبة لاقتطاع حق امرىء مسلم فيا ويلهم يوم القيامة.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨١).
(٢) **صحيح**: م: (١٣٧).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٧٤٨)، م: (١٧١٣).

عباد الله! وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»[(١)]، فهذه نصيحتي وأقدمها لكل ظالم، لعله ينتهي عن ظلمه، وأقدمها لكل مظلوم ليعلم أن الله معه، وأن الله ناصرُه في الدنيا والآخرة، فأقول: أيها الظالم إني لك ناصح أمين:

- إعلم أن هذه الدنيا لا تدوم لأحد، وأن هذا المال لا يدوم لأحد، وأن هذه الصحة لا تدوم لأحد، وأن هذا المنصب لا يدوم لأحد، ولو دام لأحد قبلك ما وصل إليك.

- واعلم أيها الظالم أنك ستموت وأنك ستترك كل هذه الدنيا وستقف يوم القيامة أمام الجبار.

أيها الظالم!

لا شيءَ مما ترى تَبْقَى بشاشتُهُ	يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تغنِ عنْ هُرْمُزٍ يوماً خزائنُهُ	والخلدَ قدْ حاولتْ عادٌ فما خَلدُوا
ولا سليمانَ إذْ تجري الرياحُ لهُ	والأنسُ والجنُ فيما بينها ترد
أينَ الملوكُ التي كانت لعزتها	منْ كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يفدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كذبٍ	لا بد من ورده يوماً كما وردوا

- ثم اعلم أيها الظالم أن الظلم سبب للعذاب عند الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

- واعلم أيها الظالم أن الظلم سبب للهلاك، وسبب لخراب الديار، يقول ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[(٢)] [هود: ١٠٢]».

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٣١١).

(٢) **صحيح**: خ: (٤٤٠٩)، م: (٢٥٨٣).

● واعلم أيها الظالم أنك إن تنام فإن المظلوم لا ينام فهو قائمٌ يدعو عليك، يقول ﷺ: «**واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»(١).

ابن آدم!

لا تَظْلِمنَّ إذا ما كنتَ مقتَدِراً ... فالظلمُ يرجعُ عقباهُ إلى الندمِ
تنامُ عيناكَ والمظلومُ منتبهٌ ... يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تَنَمِ

● ثم اعلم أيها الظالم أنك ستندم ندماً لا يندمه أحد يوم القيامة، ستندم إذا أخذ المظلومون من حسناتك، وستندم عندما يحملونك من سيئاتهم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] ـ من شدة الندم، ومن شدة الحسرة على حسناته التي ذهبت لغيره، وعلى سيئاته التي حملها على ظهره، وحمل فوقها سيئات من ظلمهم، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

فيا أيها الظالم، تب إلى الله، والقَ الله مظلوماً، ولا تلق الله ظالماً، فالظلم ظلمات يوم القيامة.

● أما أنت أيها المظلوم فاصبر وما صبرك إلا بالله، اصبر على من ظلمك واحتسب ذلك عند الله.

فقد جاء الناس على عهد الحجاج يشكون لأنس بن مالك ما يلقون من الحجاج من ظلمه، فما كان مِنْ أنس بن مالك إلا أن قال لهم: (اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ)(٢).

● فيا أيها المظلوم اصبر على ظلم من ظلمك وتذكر أنك يوم القيامة ستأخذ حقك أمام الله مِنْ حسناته.

● ثم أيها المظلوم، تذكر أن الله ﷻ يستجيب لك، فقم في جوف

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٣١٦)، م: (١٩). (٢) **صحيح**: خ: (٦٦٥٧).

الليل وادعُ الله ﷻ أن ينتقم لك ممن ظلمك أينما كان، فالله ﷻ يقول في الحديث القدسي: «**وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»(١)، أو ادع الله أن يحول بينك وبين ظلمه، فالله ﷻ يستجيب للمظلوم إن دعا على الظالم ولو كان هذا المظلوم كافراً، فكونوا من دعوة المظلوم على حذر.

● أيها المظلوم، احتسب هذا الظلم الذي نزل بك عند الله يوم القيامة لتأخذ من حسنات الظالم، ففي يوم القيامة لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يتمنى الإنسان يوم القيامة ليفتدي بملء الأرض ذهباً ليتحصل على حسنة واحدة ينجو بها من عذاب الله ويدخل الجنة، ولكن الله ﷻ لا يقبل منه ذلك يوم القيامة، فاصبر أيها المظلوم، لتأخذ من حسنات الظالم يوم القيامة، اصبر أيها المظلوم لتُحَمِّل الظالمَ على ظهره من سيئاتك يوم القيامة.

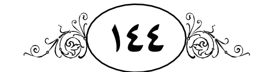
فيا إخوة الإسلام! إياكم والظلم، وتذكروا الرجوع إلى الله! والوقوف بين يدي الله، «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»(٢).

فكم من الناس في هذه الدنيا بقوته وماله تعدى على الآخرين، فهذا يظلم جاره، هذا يظلم ولده، وهذا يظلم والده، وهذا رجل يظلم زوجته، وهذا رجل يظلم من تحته في العمل، وهذا راعٍ يظلم رعيته... ... إلى غير ذلك، لكن يوم القيامة ترد الحقوق إلى أهلها.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يحفظنا وإياكم من الظلم
وأن يباعد بيننا وبين الظلم كما باعد بين المشرق والمغرب

---

(١) **حسن لغيره**: طب: (٤/٤٨)، هب: (٥/٤٠٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٢٣٠)].
(٢) **صحيح**: م: (٢٥٨٢).



مشاهد يوم القيامة

المشهد الرابع عشر: مشهد الاقتصاص بين الناس في الدماء

عباد الله: في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الثالث عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد: «**اقتصاص المظالم بين الخلق**».

وتبين لنا عباد الله أن المظالم كلها ترد إلى أصحابها يوم القيامة أمام الجبار ﷻ قال ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ﴾ [غافر: ١٧]. فيقتص الله ﷻ للمظلوم من الظالم حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، وتبين لنا عباد الله أن المظالم التي ترد إلى أصحابها يوم القيامة ستكون بالحسنات والسيئات لا بالدراهم والدنانير.

وقلنا: من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار.

عباد الله! أتدرون ما هي أول المظالم التي يقضى فيها يوم القيامة بين الناس؟ إنها الدماء، إنه القتل، ولذلك **فموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد الرابع عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد «الاقتصاص بين الناس في الدماء»**.

يقول ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[1]، ويقول ﷺ: «**يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دماً، يقول: يا رب، سَلْ هذا فيم قتلني؟ حتى يدنيه**

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٧١)، م: (١٦٧٨).

من العرش»[١].

ويقول ﷺ: «**يجيء الرجل أخذاً بيد الرجل، فيقول: يا رب هذا قتلني، فيقول الله له: لِمَ قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، ويجيء الرجل آخذاً بيد الرجل، فيقول: أي ربِّ! إن هذا قتلني، فيقول الله: لِمَ قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه»**[٢].

فإياكم والدماء يا عباد الله، إياكم والقتل يا عباد الله.

فها قد دبت الفوضى في صفوف المسلمين، فهذا يقتل زوجته، وهذا يقتل أولاده وهذا يقتل أخاه، وهذا يقتل نفسه، إن الله ﷻ حرم القتل.

والقتل جريمة نكراء في حق هذا الإنسان؛ لأن الله كرمه وأوجدهُ في هذه الدنيا لعبادته، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً.

● نعم، القتل جريمة نكراء في حق هذا الإنسان لأن الله عز وجل حرم القتل إلا بالحق، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ويقول ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»**[٣].

وقد فسر لنا رسول الله ﷺ هذا الحق الذي يبيح قتل النفس التي حرم الله، فقال ﷺ: «**لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانِ والنفس بالنفس، والمفارق لدينه التارك للجماعة»**[٤].

---

(١) **صحيح**: ت: (٣٠٢٩)، ن: (٤٠٠٥)، هـ: (٢٦٢١)، [«ص.ج» (٨٠٣١)].

(٢) **صحيح**: ن: (٣٩٩٧)، طب: (٩٦/١٠)، هب: (٣٤١/٤)، حل: (١٤٧/٤)، [«ص.ج» (٨٠٢٩)].

(٣) **صحيح**: خ: (٢٥)، م: (٢٢).

(٤) **صحيح**: خ: (٦٤٨٤)، م: (١٦٧٦).

عباد الله! وقد جاء الإسلام يحذر من جريمة القتل تحذيراً شديداً حتى ينزجر كثير من الناس الذين تهاونوا بأرواح البشر، فما إن يغضب أحدهم حتى يخرج مسدسه ويطلق النار على مؤمن يقول: لا إله إلا الله.

فحذر الإسلام من القتل بجميع صوره تحذيراً شديداً، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

ويقول ﷺ: «**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً**»(١)، وقال ﷺ في حجة الوداع: «**ـ أيها الناس ـ إن دماءكم، وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد**»(٢)، وقال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه**»(٣)، ويقول ﷺ: «**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار**»(٤).

عباد الله! جاء الإسلام وفرض القصاص حفاظاً على أرواح البشر، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكُمْ فِى

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٦٩).
(٢) **صحيح**: خ: (١٦٥٤)، م: (١٦٧٩).
(٣) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).
(٤) **صحيح لغيره**: ت: (١٣٩٨)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٤٢)].

ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقد بيَّن ربنا جل وعلا أن الذي يقوم بهذا القصاص إنما هو السلطان وإلا دبت الفوضى في مجتمعات المسلمين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء: ٣٣]، وقد حرم الإسلام على أحدٍ أن يشفع لأحدٍ في حد من حدود الله.

فإياك إياك أن تشفع لأحدٍ في حد من حدود الله، إنها جريمة نكراء قال ﷺ لأُسامة بن زيد «**أتشفع في حد من حدود الله؟**» ثم قام ﷺ فٱختطب ثم قال: «**إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»(١).

لكن أين الحدود والقصاص؟ فيوم أن غابت الحدود وغاب القصاص، وغاب حكم الله دبت الفوضى في مجتمعات المسلمين، فهل من عودة يا أمة الإسلام ويا حكام المسلمين إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ؟ فلكم في القصاص حياة يا أولي الألباب.

عباد الله! ديننا يحافظ على أرواح البشر، ويحرم على الإنسان أن يقتل غيره ويحرم على الإنسان أن يقتل نفسه، ولسنا في حاجة إلى أن يأتي الكفار وإخوة القردة والخنازير ليقولوا لنا: نحن نحافظ على حقوق الإنسان ويشكلون لنا لجاناً وهيئاتٍ للدفاع عن حقوق الإنسان، فهذا ديننا يحافظ على حقوق الإنسان، ويحرم على كل إنسان أن يقتل إنساناً بغير حق.

عباد الله! القتل جريمة نكراء فاحذروا أن تتورطوا فيها.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٨٨)، م: (١٦٨٨).

ابن آدم! احذر أن تتورط في القتل العمد، القَ الله مقتولاً ولا تلقَ الله قاتلاً، إياك إياك أن تقتل إنساناً يقول: (لا إله إلا الله) متعمداً؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]. ويقول ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق**»[١]، ويقول ﷺ: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً**»[٢].

واحذر يا ابن آدم أن تتورط في القتل الخطأ كذلك، والقتل الخطأ هو أن تقتل إنساناً بدون قصدٍ منك في قتله وإنْ قتلت إنساناً خطأً، فإنَّ عليك الدية والكفارة، فالدِّيةُ من حق ورثة المقتول، والكفارة حق الله ﷻ وهي عتق رقبة، فإن لم تجد فصيام شهرين متتابعين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء: ٩٢].

فإياك يا عبد الله أن تقتل مؤمناً متعمداً، وإياك يا عبد الله أن تتورط في قتل مؤمن خطأ، وإياك يا عبد الله أن تقتل نفسك منتحراً، فالله ﷻ قال لنا في كتابه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فحرم الله على الإنسان أن

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٦١٩)، بز: (٦/ ٣٧٥)، هب: (٤/ ٣٤٥)، [«ص.ج» (٥٠٧٨)].

(٢) **صحيح لغيره**: د: (٤٢٧٠)، ن: (٣٩٨٤)، حم: (٤/ ٩٩)، حب، (٥٩٨٠)، ك: (٤/ ٣٩١)، طب: (١٩/ ٣٦٥)، هق: (٨/ ٢١)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٤٥)].

يقتل نفسه، وحرم الله على الإنسان أن يقتل ولده، وحرم الله على الإنسان أن يقتل غيره إلا بالحق.

فإياك إياك أن تقتل نفسك، فهذه النفس ليست ملكاً لك إنما هي لله، إياك إياك أن تبادر بنفسك إلى الله فتُحْرم الجنة، فالله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال ﷺ: «**من تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردَّى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سُمّاً فقتل نفسه فسمُّهُ في يده يتحساهُ في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدةٍ فحديدته في يده يَجَأُ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»[١]. يُجمع على المنتحر عذاب جهنم وعذاب الآلة التي قتل بها نفسه، قال ﷺ: («**كان فيمن كان قبلكم رجل به جُرح، فجزع فأخذ سكيناً، فحزَّ بها يده فما رقأ الدم حتى مات**»، **قال الله تعالى**: «**بادرني عبدي بنفسه حرَّمت عليه الجنة**»)[٢].

عباد الله! إياكم أن تتورطوا في القتل فقد علمتم أن القاتل يأتي يوم القيامة والمقتول آخذ بتلابيبه ويحمل رأسه وناصيته بيده، وأوداجه تشخب دماً، يقول: يا رب هذا قتلني فَلِمَ قتلني؟ وإياك إياك أن تتورط في إطلاق النيران فكثير من الناس اليوم ـ والله ـ لا يبالون بأرواح من حولهم، فتراهم يعطون مسدساتهم لأولادهم، ويعطون سيارتهم لأبنائهم فيسيرون بها في الشوارع بسرعة جنونية ويتسببون في حوادث السير، وتأتي عائلاتهم (الجاهات) التي فيها الكثير ممن لا يخافون الله، فينهون القضية بفنجان من القهوة بعد أن ذهب دم الرجل، وترملت المرأة، وتيتم الأولاد، ويأتي الخال والعم فيتساهل في دية المقتول بل ويتسامح فيها، بل ويترك هؤلاء الأيتام لا مال لهم إذ يتنازل عن الدية ليقال عنه إنه صاحب كلمة، لا يا عبد الله، الدية من حق أولاد المقتول ولا دخل لك أيها الخال والعم

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٤٤٢)، م: (١٠٩). (٢) **صحيح**: خ: (٣٢٧٦).

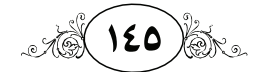
فيها، ولا يحق لك أن تتنازل عنها، أما إذا أراد أهل المقتول وأولاده وزوجته أن يسامحوا القاتل فلهم ذلك وإلا فلهم أن يُطالبوا بالدية، والدِّية التي يجب أن تعطى هي خمسون ألف دينار قيمة مائة من الإبل. فيا من يضيعون الدية بفنجان من القهوة اعلموا أن الله سائلكم عن هؤلاء الأيتام يوم القيامة، فإياك إياك أن تشفع في حد من حدود الله.

وأنا أحملكم المسؤولية أمام الله يوم القيامة عن هؤلاء الأيتام.

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد اللهم قد بلغت اللهم فاشهد

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه





مشاهد يوم القيامة

المشهد الخامس عشر: «الميزان»

عباد الله! في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن مشاهد السؤال والحساب وتبيَّن لنا عباد الله أن العبد سيقف بين يدي ربه يوم القيامة فيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان وتبين لنا أن الإنسان يُسأل عن حقوق الله ﷻ، وأول ما يُسأل عنه من حقوق الله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، ويُسأل الإنسان بعد ذلك عن حقوق العباد وأول ما يُسأل عنه من حقوق العباد الدماء.

ابن آدم! إذا عرفت أنك إلى ربك راجع، فاعلم أنك بين يدي ربك موقوف، وإذا علمت أنك موقوف فاعلم أنك مسئول، فتجهز للإجابة من الآن.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم - إن شاء الله تعالى - مع المشهد الخامس عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد: «الميزان».

عباد الله! بعد إتمام الحساب والسؤال يُوضع الميزان، وعند الميزان تعلن النتائج، قال - تعالى -: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦ - ١١].

وهذا الميزان الذي ينصب يوم القيامة لوزن أعمال العباد له كفتان حسيتان مشاهدتان أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ.

وهذا الميزان دقيق جداً لا يُزيد ولا يُنقص، كما قال رب العزة: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

عباد الله! وهذا الميزان ووزن الأعمال يوم القيامة كلاهما ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، ولا ينكر ذلك إلا جاحد أو ضال، فالله ﷻ أخبرنا في كتابه عن الميزان وعن وزن الأعمال يوم القيامة فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١ ـ ١٠٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١]، كما قد أخبرنا النبي ﷺ في سنته عن الميزان، فقال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان العظيم**»(١). وقال ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأُ الميزان..**»(٢)، وقد أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على ثبوت الميزان وعلى ثبوت الوزن يوم القيامة لأعمال العباد، فلا ينكر ذلك إلا جاحد أو ضال.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٣٠٤)، م: (٢٦٩٤).

(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣).

عباد الله! **وهنا سؤال لعله يدور في الأذهان، ألا وهو: ما الذي يوزن في هذا الميزان يوم القيامة هل هي الأعمال نفسها؟ أم هي صحائف الأعمال؟ أم يوزن العامل أي: العبد نفسه؟**

للعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: قالوا إن الذي يوضع في الميزان يوم القيامة هو الأعمال نفسها، واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان..**»[(١)]، واستدلوا بقوله ﷺ: «**أثقل شيءٍ في ميزان المؤمن خلقٌ حسن**»[(٢)].

فإن قال قائل: كيف توزن الأعمال في الميزان وهي أعراض لا أجسام؟ قلنا له: الله ﷻ على كل شيء قدير، وهو قادر على أن يحول هذه الأعمال من أعراض إلى أجسام توزن في الميزان يوم القيامة.

وأظنكم جميعاً تعلمون أن الله يوم القيامة يختم على الأفواه وتتكلم الأيدي والأرجل، كيف تتكلم الأيدي والأرجل والجلود؟ فالله على كل شيء قدير، وقد علمتم أن الإنسان إذا وضع في قبره تحول عمله إذا كان صالحاً إلى شاب جميل المنظر، طيب الرائحة، يدخل على صاحبه في قبره فيقول الميت له: من أنت فوجهك الذي يبشر بالخير؟ فيقول له: أنا عملك الصالح، والعمل السيء كذلك يتحول إلى رجل أسود الوجه، منتن الرائحة، يقول له صاحبه: من أنت فوجهك الذي يبشر بالشر؟ فيقول له: أنا عملك السيء، إذن فالله عز وجل على كل شيء قدير قادر على أن يحول هذه الأعمال إلى أجسام توزن في الميزان يوم القيامة.

القول الثاني: قالوا إن الذي يوزن في الميزان يوم القيامة هو العبد نفسه.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٣٠٤)، م: (٢٩٦٤).

(٢) **صحيح**: حم: (٦/ ٤٥١)، حب: (٥٦٩٣)، عب: (١١/ ١٤٦)، هب: (٦/ ٢٣٨)، هق: (١٠/ ١٩٣)، [«ص.ج» (١٣٥)].

واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضةٍ، اقرءوا** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾»[١] [الكهف: ١٠٥]، وقال ﷺ في حق ابن مسعود رضي الله عنه عندما صعد يوماً على شجرة ورأى الصحابةُ ساقيه فضحكوا من دقتهما، قال ﷺ: «**ما يضحككم من دقة ساقيه! والذي نفسي بيده إنهما** ـ أي: ساقيه ـ **أثقل في الميزان من أحد**»[٢].

فهؤلاء قالوا: إن الذي يوزن في الميزان هو العبد نفسه.

القول الثالث: قول من قالوا: إن الذي يوزن في الميزان هي صحائف الأعمال واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء**»[٣].

فقالوا: بناءً على هذا إن الذي يوزن في الميزان هي صحائف الأعمال، والقول الراجح والصحيح يا عباد الله أن جميع ما ذكر يوزن في الميزان يوم القيامة: الأعمال وصحائف الأعمال والعبد نفسه، كل ذلك يوضع في الميزان ثم تعلن النتيجة، والناس يا عباد الله عند الميزان على ثلاثة أقسام:

---

(١) **صحيح**: خ:(٤٤٥٢)، م: (٢٧٨٥).

(٢) **صحيح**: حم: (١/ ٤٢٠)، حب، (٧٠٦٩)، لس: (٣٥٥)، طب: (٩/ ٧٨)، ع: (٩/ ٢٤٧)، بز: (٥/ ٢٢١)، [«س.ص» (٢٧٥٠)].

(٣) **صحيح**: ت: (٢٦٣٩)، هـ: (٤٣٠٠)، حم: (٢/ ٢١٣)، حب: (٢٢٥)، ك: (١/ ٤٦)، طس: (٥/ ٧٩)، هب: (١/ ٢٦٤)، [«ص.ج» (١٧٧٦)].

القسم الأول: من ثقلت موازينهم بكثرة الحسنات، فأولئك هم المفلحون، الذين نسأل الله أن نكون منهم.

القسم الثاني: من خفت موازينهم بكثرة السيئات، فأولئك هم الخاسرون.

القسم الثالث: من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فتمنعهم حسناتهم من دخول النار، وتمنعهم سيئاتهم من دخول الجنة، فيوقفون على جبل الأعراف بين الجنة والنار، ثم بعد ذلك ينظر الله إليهم ويرحمهم ويدخلهم الجنة.

عباد الله! الميزان يوم القيامة حق، ووزن الأعمال يوم القيامة حق، كما قال ربنا: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

ابن آدم! رُبَّ حسنة واحدة تدفع بك إلى جنة عرضها السموات والأرض، ورُبَّ سيئة واحدة تدفع بك إلى نار حامية!

ابن آدم! يا من زهدت في الحسنات، يا من نقول لهم: صلوا في المسجد في جماعة فيقولون: نصلي في البيت وتكفينا حسنة واحدة! يا من زهدتم في الحسنات، رُبَّ حسنة واحدة تدفع بكم إلى جنة عرضها السموات والأرض وإلى خلود أبدي، ورُبَّ سيئة واحدة ـ يا من تهاونتم في المعاصي والسيئات ـ تدفع بكم إلى نار حامية.

تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر

ابن آدم! تصور نفسك الآن وأنت واقف على الميزان برجحان حسنةٍ واحدةٍ فزت فوزاً عظيماً وبسيئةٍ واحدةٍ خِبْتَ وخسرت الدنيا والآخرة.

هذه ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين.

• ومن الأعمال التي تثقل في الميزان يوم القيامة: ذكر الله، فأكثروا من ذكر الله ومن تلاوة القرآن، فكما سمعتم ـ يا من تضيعون الأوقات في

الغيبة والنميمة وأمام المفسديون ـ، «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[١]، فأكثروا من هاتين الكلمتين. ويقول ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأُ الميزان**»[٢].

- ومن الأعمال الصالحة التي تثَّقل الميزان أيضاً: حسن الخلق.

يقول ﷺ: «**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**»[٣] فعامل الناس بخلق حسن.

- ومن الأعمال الصالحة التي تثَّقل الميزان يوم القيامة: العقيدة الصحيحة، والإيمان الصادق.

فقد سمعتم عن ابن مسعود أن قدميه في الميزان أثقل من جبل أحد، وقد سمعتم عن هذا العظيم السمين الذي مات على عقيدة فاسدة فيؤتى به يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة.

فأكثروا من الأعمال الصالحة ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وها نحن في هذه الأيام ـ العشر الأولى من ذي الحجة ـ، والأعمال الصالحة فيها لها أجر عظيم فأكثروا فيها من الأعمال الصالحة، ولا تحرموا أنفسكم من صيام يوم عرفة فإن صيامه يكفر ذنوب سنتين.

فيا أيها البخيل على نفسك، يا أيها المسكين، يا من تدعي المرض وأنت لست بمريض، لا تحرم نفسك من صيام هذا اليوم، فقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ فقال: «**صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده...**»[٤]، ولا تحرموا أنفسكم كذلك من

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٣٠٤)، م: (٢٦٩٤). (٢) **صحيح**: م: (٢٢٣).

(٣) **صحيح**: د: (٤٧٩٩)، حم: (٦/ ٤٤٢)، خد: (٢٧٠)، حب: (٤٨١)، طص: (١/ ٣٣١)، هب: (٦/ ٢٣٨)، [«ص.ج» (٥٧٢١)].

(٤) **صحيح**: م: (١١٦٢).

ذبح الأضاحي في يوم العيد بعد صلاة العيد أو في أيام التشريق، فهي واجبة على المستطيع وفيها أجر عظيم.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يثقِّل موازيننا يوم القيامة

❁ ❁ ❁



مشاهد يوم القيامة

المشهد السادس عشر: «المرور على الصراط»

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن المشهد الخامس عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد: «الميزان»، وتبين لنا عباد الله أن من ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، وأن من خفت موازينه فأولئك هم الخاسرون.

كما قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع المشهد السادس عشر من مشاهد يوم القيامة ألا وهو مشهد: «المرور على الصراط».

يقول الله ﷻ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٦٦، ٧٢].

عباد الله! بعد محاسبة العباد ووزن أعمالهم، فالمصير إما إلى الجنة

وأولئك هم الفائزون، وإما إلى النار وأولئك هم الخاسرون.

عباد الله! وليس هناك طريق إلى الجنة إلا بالمرور على الصراط الذي نصب على ظهراني جهنم.

أتدرون ما هو الصراط يا عباد الله؟

الصراط: جسر منصوب على متن جهنم، أدق من الشعرة، وأحدُّ من السيف.

الصراط: مدحضة مزلة على جانبيه خطاطيف وكلاليب وحسك كشوك السعدان لا تثبت الأقدام على هذا الصراط إلا أقدام من ثبته الله في الدنيا والآخرة.

عباد الله! الرحم والأمانة تقوم على جانبي هذا الصراط تشهد الأمانة لمن أداها وتشهد على من خانها، وتشهد الرحم لمن وصلها وتشهد على من قطعها، الرحم والأمانة تقفان على جانبي الصراط، كلما مر رجل قالت الأمانة: هذا أدى الأمانة، وهذا خان الأمانة، وكلما مر رجل قالت الرحم: هذا وصلني، وهذا قطعني، فاتقوا الله في أرحامكم، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ [النساء: ١]، واتقوا الله في الأمانات وأدوها إلى أهلها.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

عباد الله! وعند المرور على الصراط لا يتكلم أحد إلا الرسل، أتدرون ماذا يقولون! يقولون: «**اللهم سلِّم سلِّم**»[(١)].

عباد الله! عند المرور على الصراط لا يعرف أحدُ أحداً، تقول عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، أتعرفنا يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «**أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحد؛ عند الميزان؛ حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف؛ حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في**

---

(١) **صحيح**: خ: (٧٧٣)، م: (١٨٢).

شماله أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم؛ حتى يجوز»(١).

أمة الإسلام! في أرض المحشر وعند الانتهاء من وزن الأعمال يجمع الله تبارك وتعالى الناس في مكان واحد، وفي ساحة واحدة ثم ينادي منادٍ: أيها الناس، أليس عدلاً من الله تعالى أن يولي كل إنسان إلهه الذي كان يعبده في الدنيا؟ فيقولون: بلى وربنا.

فينادي المنادي: لتَتَّبِع كل أمةٍ إلٰهها الذي كانت تعبد في الدنيا، فيتصور لكل قوم ما عبدوا فيتبعونه، فيتبع عَبَدَةُ الشمس الشمسَ، ويتبع عبدةُ القمر القمرَ، وعبدةُ الأصنامِ الأصنامَ، وهكذا تتميز كل أمة مع إلهها الذي كانت تعبد ـ من دون الله ـ.

فتؤخذ هذه الآلهة المزعومة مع الذين عبدوهم في الدنيا فيتساقطون جميعاً في جهنم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ ـ يقال لهم ـ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٧ ـ ١٠٠].

بعد ذلك لا يبقى في هذه الساحة إلا الذين عبدوا الله من بر وفاجر وبقية من أهل الكتاب فيُدْعىٰ اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عُزَير ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله مِنْ صاحبةٍ ولا ولد فيقال لهم؟ ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في جهنم جميعاً.

• ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن مريم؟ فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا

---

(١) **ضعيف**: د: (٤٧٥٥)، ك: (٤/ ٦٢٢)، [«ض.غ.هـ» (٢١٠٨)].

ولد، فيقال لهم: ما تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعض فيتساقطون فيها جميعاً.

عباد الله! ثم لا يبقى في الساحة إلا الذين عبدوا الله من برٍ وفاجر فيأتيهم ربنا جل وعلا في صورة لا يعرفونه، فيقول لهم: يا عبادي ألم تتبع كل أمة إلٰهها الذي كانت تعبده في الدنيا؟ فيقولون: بلى، فيقول لهم: فلم لم تتبعوا إلٰهكم؟ فيقولون له وهم لا يعرفونه: نعوذ بالله منك ما عبدنا غير الله وما نحن بمنصرفين من هنا حتى يأتينا ربنا فنعرفه فنتبعه، فيقول الرب تبارك وتعالى لهم: وهل بينكم وبين ربكم علامة تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم «الساق»، فيكشف ربنا جل وعلا عن ساقه.

والساق صفة لله كصفة القدم والوجه، والعين، وهي صفات تليق بجلال الله ليست كصفات المخلوقين، لأن الله ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، والواجب على المسلم أن يثبت لله ﷻ هذه الصفات بدون تعطيل ولا تشبيه ولا تحريف ولا تأويل.

فيكشف ربنا عن ساقه فيخر المؤمنون لله سجداً، أما المنافقون وتاركوا الصلاة فإنهم إذا أرادوا السجود صارت ظهورهم طبقاً واحداً كلما أرادوا أن يسجدوا خروا على أقفيتهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣]. فيا من تركتم الصلاة، تلك حال الذين كانوا يدعون إلى السجود ـ أي: في الدنيا ـ وهم سالمون فكانوا لا يستجيبون لداعي الله فاعتبروا بهم.

ثم يأمر الله عز وجل الناس أن يجوزوا الصراط، فتوزع الأنوار على الناس على قدر أعمالهم، فهذا رجل يأخذ من النور كالجبل، وهذا يأخذ من النور كالنخلة، وهذا يأخذ من النور على إبهام قدمه يضيء تارة ويطفىء أخرى كلّ على قدر عمله.

فإذا بدأ الناس بمجاوزة الصراط فإن منهم من يمر كطرف العين،

ومنهم من يمر على الصراط كالبرق، ومنهم من يمر كالطير، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر يمشي مشياً بطيئاً، ومنهم من يتلبط، أي: يمشي على يديه وعلى قدميه يحبو فيرفع يداً ويضع أخرى، ويرفع رأسه فإذا الناس يمرون على الصراط إلى الجنة فيقول هذا المسكين: يا رب، لِمَ أبطأت بي؟ فيقول: يا عبدي ما أبطأتُ بك، إنما أبطأ بك عملك.

والناس يمرون على الصراط، وإذا بأنوار المنافقين قد ٱنقطعت وعندها صاروا في ظلمة ما بعدها ظلمة، يقفون في هذه الظلمة فإذا نظروا تحت أقدامهم وجدوا النار يحطم بعضها بعضاً فيخاف المؤمنون من أن تذهب أنوارهم فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨]، وعندها يأخذ المنافقون في النداء على المؤمنين: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، قال تعالى واصفاً هذا الموقف الحرج في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٢ ـ ١٥].

المؤمنون يا عباد الله هم وحدهم الذين يمرون على الصراط إلى جنات النعيم، وأما المنافقون والكفار واليهود والنصارى فيسقطون في جهنم وبئس المصير[(١)].

عباد الله! والناس عند المرور على الصراط على ثلاثة أقسام:

● قسم يمرون على الصراط سالمين، لا تخدشهم الخطاطيف، ولا الكلاليب، ولا تمسهم النار ونسأل الله أن نكون منهم.

---

(١) انظر: كتاب «رحلة إلى الدار الآخرة» لأخي وشيخي عبد العظيم بن بدوي ـ حفظه الله ـ.

• وقسم آخر يمرون على الصراط فتخطفهم الكلاليب والخطاطيف فيخدشون ولكنهم ينجون إلى الجنة.

• وقسم تتخطفهم الكلاليب والخطاطيف فيكبون على رؤوسهم في نار جهنم.

ابن آدم! تخيل نفسك الآن وأنت على الصراط، وقد انقطع النور فوقفت مكانك، فإذا نظرت تحت قدميك وجدت النار السوداء كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، قد اشتعل لهيبها حتى اسودت فهي كالليل المظلم.

• تخيل نفسك الآن على الصراط الذي هو أدق من الشعر، وأحدُّ من السيف، كيف ستمشي على هذا الصراط؟

قل لنفسك: يا نفسي هل ستكونين ممن ينجو من تلك الخطاطيف والكلاليب إلى الجنة، أم أنك ممن تتخطفه الكلاليب ثم ينجو بعد ذلك، أم أنت يا نفسُ ممن سيكبون على رؤوسهم في نار جهنم؟

عباد الله! من أراد أن يثبت على الصراط الذي نصب على نار جهنم وينجو إلى جنات النعيم فعليه أن يثبت على الصراط المستقيم في هذه الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

هذه وصية الله لكم فعلى من أراد أن ينجو على الصراط يوم القيامة أن يتبع صراط الله المستقيم ﴿**قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٦١**﴾ [الأنعام: ١٦١]. ورسولنا الكريم ﷺ: (يخط خطّاً ثم يقول: «**هذا سبيل الله**» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: «**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»)[1].

عباد الله! والثبات على الصراط المستقيم في الدنيا يكون بتمسككم

---

(١) **حسن**: حم: (١/ ٤٣٥)، مي: (٢٠٢)، حب: (٦)، ك: (٢/ ٣٢٨)، لس: (٢٤٤)، بز: (٥/ ٢٥١)، [«الموسوعة الحديثية»].

بالقرآن والسنة حتى لا تضلوا، يقول ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**»(١).

● ولكن على أي منهج نسير في هذا التمسك؟ على منهج صحابة رسول الله، لم؟ لأن الرسول ﷺ قال: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٢) وقال ﷺ: «**فعليكم بسنتي** ـ أي: بطريقتي ـ **وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**»(٣).

والله ﷻ أخبرنا في كتابه أنه رضي عن الذين سلكوا هذا الصراط وعن الذين اتبعوا سبيلهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فيا إخوة الإسلام! هذا صراط الله المستقيم: كتاب وسنة، قال الله وقال رسول الله ﷺ على نهج صحابة رسول الله، ولكن إذا تفرقنا شيعاً وأحزاباً وغدونا كل حزب بما لديهم فرحون واتبعنا تلك السبل القصيرة التي على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ضللنا.

فإذا أردتم أن تثبتوا على الصراط يوم القيامة فاثبتوا على الصراط المستقيم في هذه الدنيا، واعبدوا الله وحده، وابتعدوا عن المعاصي، ومن اقترف منكم معصية فليبادر بالتوبة قبل أن يندم في يوم لا ينفع فيه الندم.

اللهم ثبت أقدامنا على الصراط

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، قط: (٤/ ٢٤٥)، هق: (١٠/ ١١٤)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

(٢) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/ ٢١٨)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

(٣) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/ ١٢٦)، مي: (٩٥)، حب: (٥)، ك: (١/ ١٧٤)، طب: (١٨/ ٢٤٥)، [«ص.غ.هـ» (٣٧)].

١٤٧

الجنة دار النعيم

عباد الله! في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن مشاهد يوم القيامة، وتبين لنا يا عباد الله أن الناس بعد الحساب والسؤال والميزان والصراط ينقسمون إلى فريقين: فريق إلى الجنة، وفريق إلى السعير؛ فريق سعداء، وفريق أشقياء، أخبرنا بذلك ربنا في كتابه:

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ (٧)﴾ [الشورى: ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)﴾ [هود: ١٠٣ ـ ١٠٨].

ولذلك ابتداءً من اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سنقومُ بالحديث عن الجنة دار النعيم، وعن صفات أهلها الذين فازوا بها، وعن الأسباب التي تؤدي إلى الجنة. ثم نتكلم عن النار دار البوار، وعن صفات أهلها، وعن الأسباب التي توصل إليها ليهلِك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، ولا يظلم ربك أحداً.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن الجنة دار النعيم، دار السعداء، وما أعد الله فيها من النعيم المقيم سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.**

الجنة: دار السلام، أعد الله فيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والله ﷻ يدعو عباده إلى هذه الدار فأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، فمن استجاب لرسل الله، وسلك سبيلهم دخل هذه الدار، دار السلام، ومن عصى الرسل وسلك سبيل الشياطين دخل النار، دار البوار، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥]، فبالله عليكم إذا دعيتم إلى طعام في الدنيا من إنسان تحبونه أما تجيبونه وتهرولون إليه؟! فما بالكم والذي يدعوكم هو ربكم؟! وإلى أي شيء يدعوكم؟ إلى دار السلام.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَهَـٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام: ١٢٦، ١٢٧]، الله ﷻ يدعوكم إلى دار السلام بل ويأمر ربنا جل وعلا عباده أن يسارعوا وأن يسابقوا إلى دار السلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

عباد الله! كلنا قد أيقن بالجنة، ويعلم أنه ليس بعد هذه الدار إلَّا الجنة أو النار ومع ذلك فإننا لا نكاد نرى مستعداً لهذه الجنة، أو نرى مشمراً لهذه الجنة، كلنا يسارع ويتسابق من أجل الدنيا، أما الجنة فقد نمنا عنها وطال نومنا!.

عباد الله! يدعوكم ربكم إلى دار السلام، ويأمركم بالمسارعة إليها

لأن من دخل هذه الجنة كان هو الفائز حقاً. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فإياك أن تظن أن من فاز في الامتحانات، أو من فاز في الانتخابات أو من فاز باستلام منصب من مناصب الدنيا، أو باستلام رئاسة أو وزارة بأنه هو الفائز، لا يا عباد الله بل إن الفائز هو من فاز بالجنة.

أمة الإسلام! أتدرون من هو أول من يدخل الجنة؟ إنه هو رسولنا محمد ﷺ، يقول ﷺ: «**أنا أول من يقرع باب الجنة**»(١)، وقال ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمِرتُ أن لا أفتح لأحد قبلك**»(٢).

عباد الله! أتدرون من هي أول الأمم دخولاً إلى الجنة؟ إنها أمة محمد ﷺ، أنتم يا معشر المسلمين، يقول ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة**»(٣).

أي نحن آخر الأمم في هذه الدنيا، والأولون دخولاً للجنة يوم القيامة.

فيا أمة محمد! يا من تسارعون إلى الدنيا، أنسيتم الجنة؟! أزهدتم في الجنة؟! أترضى لنفسك يا عبد الله أن تكون عبداً للشيطان فتكون مع الشيطان وحزبه في نار جهنم؟! فتندم يومها في وقت لا ينفع فيه الندم! الله يدعوكم إلى دار السلام، ويأمركم بالمسارعة إلى دار السلام، ويبين لكم أن من دخلها هو الفائز، وأخبركم رسولكم أنه أول من يدخل الجنة، وأن أمته هي أول الأمم دخولاً إلى الجنة. فماذا تريدون يا أمة الإسلام؟ أرضيتم بالدنيا من الآخرة، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل.

---

(١) **صحيح**: م: (١٩٦).

(٢) **صحيح**: م: (١٩٧).

(٣) **صحيح**: م: (٨٥٥).

عباد الله! اعلموا أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، يقول ﷺ: «**إن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام**»(١).

وقال ﷺ: «**قمت على باب الجنة فكان عامَّة من دخلها المساكين، وأصحابُ الجدِّ محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أُمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء**»(٢)، أصحاب الجد: هم الأغنياء من المسلمين.

عباد الله! تعالوا بنا لننظر إلى الجنة كَمَا وصفها الذي خلقها، وكما وصفها الذي دخلها ليلة المعراج وهو رسولنا ﷺ.

الجنة لها أبواب، كما قال ربنا جل وعلا: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠﴾ [ص: ٥٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وأبواب الجنة ثمانية:

قال ﷺ: «**في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون**»(٣) ويقول ﷺ: «**إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**»(٤).

وقال ﷺ: «**ما منكم من أحد يتوضأ فَيُبلغ (أو فيسبغ) الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»(٥).

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٥٣)، هـ: (٤١٢٣)، حم: (٢/٢٩٦)، طس: (١/٣٣)، ش: (٧/٨٦)، هب: (٧/٣٠١)، حل: (٧/٩١)، [«ص.ج» (٤٢٢٨)].

(٢) **صحيح**: خ: (٤٩٠٠)، م: (٢٧٣٩). (٣) **صحيح**: خ: (٣٠٨٤).

(٤) **صحيح**: خ: (١٧٩٧)، م: (١١٥٢). (٥) **صحيح**: م: (٢٣٤).

عباد الله! الجنة درجات بعضها فوق بعض، أعلاها الفردوس وفوق الجنة عرش الرحمن، يقول ربنا جل وعلا: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

ويقول ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجَتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمٰن ومنه تفجر أنهار الجنة**»[(١)].

الجنة واسعة جداً، يقول ربنا جل وعلا: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، فما بالكم بطولها؟! ولا يعلم سعة الجنة إلا الذي خلقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

عباد الله! أما بناء الجنة، وأما تربة الجنة، فقد سُئل ﷺ عن بناء الجنة وقصورها، فقال ﷺ: «**لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها ـ أي: ما يوضع بين اللبنتين ـ المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من دخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم**»[(٢)].

عباد الله! أما أنهار الجنة، فقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥]، وفي آية أخرى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الكهف: ٣١].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٩٨٧).

(٢) **صحيح**: ت: (٢٥٢٦)، حم: (٢/ ٤٤٥)، مي: (٢٨٢١)، حب: (٧٣٨٧)، هب: (٥/ ٤٠٩)، لس: (٢٥٨٣)، طس: (٧/ ١٤٤)، [«ص.ج» (٣١١٦)].

هذه الأنهار: نهر من ماء، ونهر من عسل، ونهر من لبن، ونهر من خمر كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

هذه هي الجنة سلعة الله الغالية فهل من مشمر لها يا عباد الله؟!

جنة الله سلعة غالية، فإن جنة الله من دخلها فقد فاز، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، جنة الله فيها مِنَ النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

عباد الله! أما عيون الجنة، فقد قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر: ٤٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرحمن: ٥٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن: ٦٦]. فتخيل نفسك في أرض الجنة على سرر من الذهب، وهذه العيون تتفجر أمامك.

عباد الله! أما بساتين الجنة، وثمار الجنة، وأشجار الجنة، فيقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ [النبأ: ٣١، ٣٢].

وقال تعالى مبيناً أن في الجنة الفاكهة وكل ما تشتهيه الأنفس: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [الرحمـٰن: ٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن: ٦٨]، فالإنسان في الجنة على سرير من ذهب لا يقوم ليقطف من هذه الثمار بل تتدلى فوقه ليأكل منها، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن: ٥٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤].

فيا عبد الله: تخيل أنك في الجنة الآن وانظر إلى هذا النعيم المقيم: أنهار تجري من تحتك، عيون تتفجر من كل مكان، ثمار كما تريد وتشتهي، بساتين كما تحب وترضى. فيا أصحاب المزارع والحدائق

والبساتين، يا من تضيعون صلاة الجمعة وتذهبون إلى مزارعكم لتشربوا الخمر هناك وتعصوا الله ﷻ، أما تريدون أن تتوبوا إلى الله؟! أما تريدون أن تعودوا إلى الله؟! أما تحبون أن تخرجوا من مزارعكم هذه إلى بساتين الجنة؟! أم تريدون أن تخرجوا من بساتينكم إلى نار حامية؟! اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد.

عباد الله! أما صفة أهل الجنة الذين سكنوا الجنة ـ ونسأل الله أن نكون منهم ـ وما هو لباسهم؟ وما هو شرابهم؟ وما هو طعامهم؟ وما هي نساؤهم؟ وما هو مسكنهم؟ فهذا الذي سنعيش معه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة





نعيم أهل الجنة

عباد الله! في الجمعة الماضية بدأنا في الحديث عن الجنة دار النعيم، وتبين لنا عباد الله أن الجنة درجات بعضها فوق بعض، أعلاها هو الفردوس الأعلى، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهلها. وتبين لنا عباد الله أن رسولنا ﷺ هو أول من يقرع باب الجنة، وأن أمته هي أول الأمم دخولاً إلى الجنة.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن نعيم أهل الجنة.**

الجنة وما فيها من النعيم لا مثيل لها، سُئل ﷺ عن الجنة فقال ﷺ: «**لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من دخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم**»(١) اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان: ٢٠].

ويقول ﷺ: «قال الله ـ تعالى ـ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾»(٢) [السجدة: ١٧].

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى وصف نعيم أهل الجنة كما وصفه لنا ربنا في كتابه، ووصفه لنا رسولنا ﷺ في سنته.

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٢٤٠.

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٧٢)، م: (٢٨٢٤).

عباد الله! لباس أهل الجنة في الجنة حرير، يلبسون الحرير والسندس والإستبرق، ويحلون فيها بالذهب والفضة واللؤلؤ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣﴾ [الحج: ٢٣].

• أما بالنسبة لطعام أهل الجنة، فقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١﴾ [الواقعة: ٢٠، ٢١].

• أما بالنسبة لشراب أهل الجنة، فيقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾ [محمد: ١٥]، ويقول الله ﷻ: ﴿وَفِيهَا﴾ ـ أي: في الجنة ـ ﴿مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ﴾ [الزخرف: ٧١]، ويقول الله ﷻ لأهل الجنة: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾ [الحاقة: ٢٤]، ويقول الله ﷻ لأهل الجنة: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤﴾ [المرسلات: ٤٣، ٤٤].

عباد الله! أتدرون من يطوف عليهم بهذا الطعام وهذا الشراب؟ يقول الله ﷻ: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩﴾ [الواقعة: ١٧ ـ ١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩﴾ [الإنسان: ١٩].

أما بالنسبة لمساكنهم، فإنهم يسكنون في القصور والغرفات والخيام، يقول الله ﷻ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾ [الزمر: ٢٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ

وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ [الفرقان: ١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

ويصف لنا رسولنا ﷺ هذه الغرف في الجنة، فيقول ﷺ: «**إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله** ﷻ **لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»[1].

أما بالنسبة لخيام الجنة فهي عجيبة، يقول الله ﷻ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٧٢].

ويصف لنا رسولنا ﷺ هذه الخيام، فيقول ﷺ: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً**»[2].

مساكنهم هذه فيها من الفرش ما لا يخطر لك على بال، يقول الله ﷻ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾ [الرحمن: ٥٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠]، وقال: ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣]، وقال: ﴿سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: ١٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن: ٧٦] وقال ـ تعالى ـ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١].

- أما بالنسبة لنساء الجنة فقل ولا حرج، وصف ولا حرج.

قال ـ تعالى ـ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٧٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ

---

(١) **حسن**: ت: (٢٥٢٧)، حم: (٥/٣٤٣)، خز: (٢١٣٧)، حب: (٥٠٩)، ك: (١/٤٦٦)، طب: (٣/٣٠١)، عب: (١١/٤١٨)، هب: (٣/٤٠٤)، [«ص.ج» (٢١٢٣)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٨٣٨).

مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن: ٥٨].

ويقول ﷺ: «**ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها يعني: الخمار خير من الدنيا وما فيها**»(١)، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، وهذه الزوجة من الحور العين تغار على زوجها وهو في الدنيا يقول ﷺ: «**لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو دخيل يوشك أن يفارقِك إلينا**»(٢).

واعلموا عباد الله أن الزوجة الصالحة المؤمنة في الدنيا تكون مع زوجها يوم القيامة في الجنة، كما قال رب العزة: ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد: ٢٣].

وتعالوا بنا لنستمع من كتاب ربنا إلى وصف الجنة كما وصفها الذي خلقها، فمهما وصفنا عجزنا عن وصف الجنة، ولكن تعالوا بنا لنستمع إلى كلام ربنا وهو يصف لنا الجنة، وما فيها من النعيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لعلنا نشتاق إلى الجنة، لعلنا نعمل من أجل الجنة، فكلنا أيقن بالجنة لكننا لا نكاد نرى لها عاملاً!!

يقول الله ﷻ في وصف الجنة: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٩٩).

(٢) **صحيح**: ت: (١١٧٤)، هـ: (٢٠١٤)، حم: (٥/ ٢٤٢)، طب: (٢٠/ ١١٣)، حل: (٥/ ٢٢٠)، [«ص.ج» (٧١٩٢)].

﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان: ٥ ـ ٢٢].

ويقول ربنا جل وعلا في موضع آخر: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٤٦ ـ ٧٨].

يا أمة الإسلام! أبعد هذا الوصف من رب العالمين للجنة تتركون الصلاة وتأكلون الربا؟ أبعد هذا تتبرج نساؤكم!؟ أزهدتم في سلعة الله الغالية؟! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟! فوالله من حُرِمَ هذه الجنة فهو الشقي، ومن دخلها فهو السعيد.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى أهل الجنة وماذا سيقولون بعد أن دخلوا الجنة، ووجدوا فيها من النعيم ما لم يخطر لهم على بال.

قال تعالى على لسان أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥]، وقال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧٤]، وقال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

عباد الله! وبعد هذا النعيم قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً**»(١)، وعن النبي ﷺ - أيضاً - قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟! قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم** ﷻ»(٢).

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ - وهي الجنة - ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. والزيادة هي النظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى في جنات النعيم.

اللهم اجعلنا من أهل الجنة ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم

* * *

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٨٣)، م: (٢٨٢٩).

(٢) **صحيح**: م: (١٨١).

١٤٩

الفرق بين نعيم الدنيا ونعيم الجنة

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عنْ نعيمِ الجنةِ، وتبينَ لنا عبادَ اللهِ أنَّ اللهَ ﷻ أعدَّ لعبادِهِ الصالحينَ في الجنةِ منَ النعيمَ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

عباد الله! **ومودعنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الحديث عن «الفرق بين نعيم الدنيا ونعيم الجنة»**.

والذي دفعني لذلك يا عباد الله أن كثيراً من الناس ـ إلا من رحم ربي ـ يعملون ليلاً نهاراً من أجل نعيم الدنيا، ولكنهم نسوا نعيم الجنة، فأردت أن أكون لهم ناصحاً أميناً.

أولاً: اعلموا عباد الله أن الله ﷻ الذي خلق هذه الدنيا قد وصفها لنا في كتابه فذمها لنا وحذَّر عباده منها، والله ﷻ الذي خلق الجنة وصفها لعباده في كتابه ومدحها ودعا عباده إليها.

فيقول ربنا جل وعلا واصفاً الدنيا: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠]، ووصف ربنا الحياة الدنيا بأنها: لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر بينكم، وتكاثر في الأموال والأولاد، إذاً فهذه هي الدنيا متاع الغرور، ثم قال تعالى محذراً عباده من هذه الدنيا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر: ٥]، ويقول ﷺ محذراً من هذه الدنيا: **«فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما**

بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»[١].

ويقول ﷺ: «**إن الدنيا حلوةٌ خضرة، وإن الله ـ تعالى ـ مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»[٢].

● ويقول ربنا جل وعلا واصفاً للجنة مادحاً لنعيمها، وداعياً عباده إليها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج: ٢٣، ٢٤].

عباد الله! والله ﷻ يقول في الحديث القدسي كما سمعتم: «**أعددت لعبادي الصالحين** ـ أي: في الجنة ـ **ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم:** ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾»[٣] [السجدة: ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ﴾ [الزخرف: ٧١].

ثم دعا عباده إليها، فقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

عباد الله! الله ﷻ هو الذي خلق الدنيا وخلق الجنة، وقد وصف لنا الدنيا وذمها وحذر منها، ووصف لنا الجنة ومدحها ودعانا إليها.

فانظروا إلى أحوالنا اليوم، لمن نعمل؟ وعلى أي نعيم أقبلنا؟ كُلنا ـ إلا من رحم ربي ـ أقبل على نعيم الدنيا الزائل الذي وصفه الله ﷻ لنا في كتابه فذمه وحذرنا منه، لكننا للدنيا نعيش، وللدنيا نتعلم، وللدنيا

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٧٩١)، م: (٢٩٦١).
(٢) **صحيح**: م: (٢٧٤٢).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٠٧٢)، م: (٢٨٢٤).

نسافر، وللدنيا نفكر، فلا هم لنا إلا نعيم الدنيا، ونسينا الآخرة! فاستيقظوا عباد الله.

ثانياً: اعلموا يا معشر المسلمين أن نعيم الجنة خير وأبقى من نعيم الدنيا، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾ [آل عمران: ١٩٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١﴾ [طه: ١٣١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

ثالثاً: اعلموا عباد الله أن متاع الدنيا قليل بالنسبة لمتاع الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، ورسولنا ﷺ يقول: «**والله! ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليَمِّ فلينظر أحدكم بم ترجع**»[١].

هذه هي قيمة الدنيا بالنسبة للآخرة إذا وضع أحدنا أصبعه في اليم وأخرجه، فكم سيأخذ هذا الأصبع من البحر؟ هذه النقطة الصغيرة التي علقت بالأصبع هذه هي قيمة الدنيا، فانظر إلى قيمة هذه النقطة بالنسبة للبحر الواسع الكبير. ولذلك يقول ﷺ: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**»[٢]، ولذلك عاب ربنا جل وعلا على الذين رضوا بمتاع الدنيا عن الآخرة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٥٨).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٧٨).

ٱلْـَٔاخِـرَةِۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِـرَةِ إِلَّا قَلِيـلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨].

رابعاً: اعلموا عباد الله أن متاع الدنيا زائل، وأن متاع الجنة باقٍ، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، المصيبة أننا انشغلنا بالذي ينفد ويزول، وتركنا الذي يبقى ويدوم، ولذلك يضرب لنا ربنا جل وعلا مثلاً لسرعة زوال الدنيا من أيدي أصحابها، فيقول ـ تعالى ـ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

هذه هي حقيقة الدنيا فإما أن تزول من أيدي أصحابها بسرعة هائلة، وإما أن يخرج الناس من الدنيا وقد تركوا نعيمها خلف ظهورهم، فمن منا يا عباد الله إذا مات ووضع في قبره أخذ شيئاً من أشياء الدنيا؟ لذلك قال ربنا جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

ابن آدم! اعتبر بنفسك فأنت عندما جئت إلى هذه الدنيا جئت عريانَ، ثم أنت تخرج منها عريانَ، ابن آدم وكما أنهم يتصدقون عليك إذا جئت إلى الدنيا بقطعة من القماش يسترون بها عورتك، فكذلك يتصدقون عليك إذا خرجت من الدنيا بقطعة من القماش يسترون بها عورتك، هذا كل ما تأخذه من الدنيا يا عبد الله، وستترك المال والمنصب والجاه والسلطان وراء ظهرك.

ابن آدم! تذكر أن الدنيا زائلة، وانظر إلى ما ترى من الدنيا:

لا شيءَ مما ترى يبقَى بشاشتُه ... يبقى الإلٰهُ ويفنى المالُ والولدُ
لـم تغنِ عنْ هرمزٍ يوماً خزائِنهُ ... والخلدَ قدْ حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمَانَ إذ تجري الرياحُ له ... والإنسُ والجنُ فيما بينها تردُ
أينَ الملوكُ التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفدُ
حوضٌ هنالك موردٌ بلا كذبٍ ... لا بدَّ من ورده يوماً كما وردوا

الدنيا متاعها زائل، لكن انظر إلى كثير من الناس في هذا الزمان

تراهم قد عكفوا على نعيم الدنيا ونسوا الآخرة، ونسوا الجنة ونعيمها، وقد أخبرنا الله ﷻ أن نعيم الجنة باقٍ دائم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤]، أي: لهي الباقية الخالدة الأبدية.

عباد الله! فليسأل كلٌ منا نفسه أيعمل لنعيم الدنيا أم لنعيم الجنة؟ والصادق مع نفسه يقول: أعمل الليل والنهار، وأحرص على نعيم الدنيا، لكن تذكر أن العاقل هو الذي يعلم أن نعيم الآخرة خالدٌ، باقٍ فهو يعملُ ليلاً نهاراً ليفوز بنعيم الآخرة، وتراه قد طلق هذه الدنيا الفانية:

إنَّ للهِ عِباداً فُطَنَا ... طلَّقُوا الدنيا وخافوا الفِتَنَا

نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليسَتْ لحَيٍّ وَطَنَا

جعلوها لجةً واتخذوا ... صَالِحَ الأَعمالِ فيها سُفُنَا

واعلموا عباد الله أنه لا تشابه بَيْنَ نعيم الدنيا ونعيم الجنة إلا تشابه الأسماء فقط، فعلى سبيل المثال: فكروا معي عباد الله في خمر الدنيا، وفي خمر الجنة ليتبين لكم الفارق.

• خمر الدنيا: حرَّمها اللهُ ورسولُه، كريهةُ الرائحةِ، خبيثةُ الطعمِ، تُذْهِبُ العقل، تضر بالجسم، بل هي أم الخبائث، من شرب خمر الدنيا وقع على أمه، أي: زنا بأمه وأخته وعمته وخالته، أي: أصبح كالحيوان بل أضل، أصبح لا يفرق بين الحلال والحرام.

• أما بالنسبة لخمر الجنة: فهي حلالٌ طيبةُ الرائحة، لذيذة الطعم، لا تذهب العقل ولا تضر بجسم الإنسان، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ ـ أي: في الجنة ـ ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٧ ـ ١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد: ١٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن

مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٤٥ ـ ٤٧].

عباد الله! وانظروا إلى نساء الدنيا ونساء الآخرة ليتبين لكم الفارق، نساء الدنيا يصيبها الحيض والنفاس، والحيض أذى، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، المرأة في الدنيا تصاب بالحيض والنفاس، والمرأة في الدنيا أحياناً لا تطيع زوجها، وأحياناً تخرج من البيت بدون إذنه، وأحياناً إذا نظر إليها لا تسره، إلى غير ذلك مما نعلمه من نساء الدنيا.

● أما نساء الجنة فَهُنَّ: مطهرات، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]. مطهرات من الحيض والنفاس، مطهرات من الكلام الخبيث، مطهرات من منكر القول، فلا تسمع في الجنة إلا قيلاً: سلاماً سلاماً.

نساء الجنة حور مقصورات في الخيام، لا تخرج الواحدة منهن من خيمتها، ولا تنظر إلا إلى زوجها، لا تنظر يميناً وشمالاً إلى غير زوجها، قال ـ تعالى ـ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] وقال ـ تعالى ـ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٧٢]، ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧]، يقول ﷺ: «**ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها يعني الخمار خير من الدنيا وما فيها**»[1].

فيا بائع هذا النعيم بنعيم الدنيا الزائل، أما تسمع قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥]، أيها المشغول بالدنيا عن الآخرة اسمع عن نساء الجنة:

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٩٩).

ولو تَفَلَتْ في البحرِ والبحرُ مالحٌ لأصبحَ ماءُ البحر منْ ريقها عَذْبا
فيا بائعاً هذا بنجس مُعَجَّلٍ كأنكَ لا تدري، بلى سوفَ تعلمُ
فإنْ كنتَ لا تدري فتلك مصيبة وإنْ كنت تدري فالمصيبةُ أعظم

إخوة الإسلام! تبين لنا بعد المقارنة بين نعيم الدنيا ونعيم الجنة، أن نعيم الدنيا زائل وقليل، ونعيم الجنة باقٍ وكثير.

عباد الله! الذي يعمل من أجل نعيم الدنيا سيخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، والذي يعمل من أجل نعيم الجنة سيفوز بنعيم الدنيا والآخرة وذلك هو الفوز المبين.

وبعد أن بيَّن الله لنا نعيم الدنيا، ووصفه وذمه وحذرنا منه، وبعد أن بيَّن الله لنا نعيم الجنة ووصفه ومدحه، ودعانا إليه، بيَّن لنا في كتابه مصير الذين أرادوا نعيم الدنيا، ومصير الذين أرادوا نعيم الآخرة، فاسمع يا عبد الله وانظر إلى حالك، ماذا تعمل وأيّ شيءٍ تريد؟ يقول الله ﷻ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]، ويكفي أن الله ﷻ سماها العاجلة، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فانظروا عباد الله، لا يريد إلا الدنيا؛ فهو حتى إذا دعا لا يطلب من الله إلا الدنيا﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠٢].

ويقول ربنا محذراً: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ١ ـ ٨]، ويقول ﷺ: «**من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا**

إلا ما قدر له»(١).

أبعد هذا يا عباد الله تريدون الدنيا؟! لا. نقول لكم اعملوا للآخرة أكثر مما تعملون للدنيا، فإن الشرع والعقل يقول ذلك.

عباد الله! بعد أن تبين لنا أن نعيم الجنة دائم باقٍ أفلا يحتاج منا أن نعمل له بالليل والنهار؟! ونقول يا عباد الله: اعملوا للجنة أكثر مما تعملون للدنيا، واجتهدوا للجنة أكثر مما تجتهدون للدنيا، واحرصوا على الجنة أكثر مما تحرصون على الدنيا.

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد اللهم قد بلغت اللهم فاشهد
اللهم قد بلغت اللهم فاشهد

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة

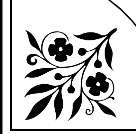
❁ ❁ ❁

---

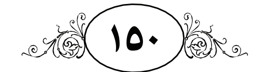
(١) **صحيح**: ت: (٢٤٦٥)، هـ: (٤١٠٥)، حم: (٥/ ١٨٣)، مي: (٢٢٩)، حب: (٦٨٠)، طب: (١١/ ٢٦٦)، [«ص.ج» (٦٥١٠)].



صفات أهل الجنة







صفات أهل الجنة

١ ـ الخوف من الله

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الفرق بين نعيم الجنة ونعيم الدنيا، وتبيَّن لنا عباد الله أن نعيم الجنة أفضل بكثير من نعيم الدنيا، وأن نعيم الجنة لا مثيل له كما أخبرنا جل وعلا في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[1].

وتبيَّن لنا عباد الله أن من دخل الجنة يوم القيامة كان هو الفائز، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع بداية الحديث عن صفات أهل الجنة.

ونحن في هذا اليوم سنتحدث عن الصفة الأولى من صفات أهل الجنة ألا وهي:

«الخوف من الله»

عباد الله! أهل الجنة دخلوا الجنة لأنهم كانوا في الدنيا يخافون من الله، فتعالوا بنا لنستمع إلى كلام ربنا وهو يخبرنا في كتابه أن أهل الجنة كانوا في هذه الدنيا يخافون من الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٧٢)، م: (٢٨٢٤).

رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ١٧ ـ ٢٨].

يخبرنا ربنا جل وعلا عن مشهد من مشاهد أهل الجنة عندما دخلوا الجنة: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ـ أقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون ـ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: خائفين ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾.

عباد الله! إن الخوف من الله ﷻ سبب لدخول الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، ويقول ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»(١).

عباد الله! إذا قرأنا كتاب ربنا نجد أنَّ الله ﷻ يخوِّف عباده:

● فتارة يخوفهم من عذابه وعقابه وبطشه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٩٨].

● وتارة يخوِّف الله عباده من عذاب يوم القيامة، فيقول الله ﷻ:

(١) **صحيح**: ت: (٢٤٥٠)، ك: (٤/٣٤٣)، هب: (١/٥١٢)، حل: (٨/٣٧٧)، [«ص. ج» (٦٢٢٢)].

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١]، ويقول الله ﷻ: ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧﴾ [المزمل: ١٧]، ويقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [الحج: ١، ٢].

● وتارة يخوِّف الله عباده من عذاب جهنم، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦﴾ [الزمر: ١٦].

● وتارة يخوّف الله عباده بالموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق: ١٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [الجمعة: ٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [النساء: ٧٨].

عباد الله! وتارة يخبر الله في كتابه أن الملائكة ـ وهم خلقٌ لا يعصون الله أبداً، ويعبدون الله بالليل والنهار ـ يخافون من الله! فيا بني آدم ألا تستحيوا من الله ﷻ فتخافوه؟!

قال تعالى في وصف الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ٥٠﴾ [النحل: ٥٠].

● ويخبر ربنا جل وعلا في كتابه عن الأنبياء، الذين هم صفوة الخلق لكنهم مع ذلك يخافون من الله.

قال تعالى بعد أن ذكر الأنبياء: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

● ويخبر ربنا جل وعلا في كتابه عن محمد ﷺ وهو أفضل الخلق عند الله ﷻ، عبدٌ غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك يخاف

من الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥].

ابن آدم! أيها العبد المتجرِّئ على معصية الله، اسمع ماذا يقول رسول الله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

• ويخبرنا ربنا جل وعلا عن الصحابة والصالحين أنهم يخافون من الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦].

• وهذا رسولنا ﷺ يُخَوِّف أمته، فيقول ﷺ: «**أتسمعون ما أسمع**»؟ قالوا: ما نسمع من شيء، قال: «**إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم**»(١)، ويقول ﷺ: «**والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش**»(٢)، ويقول ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله** ـ يعني: يوم القيامة ـ **ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ـ ولو بكلمة طيبة ـ**»(٣).

• الله ﷻ يخوِّف عباده، والرسول ﷺ يخوِّف أمته أتدرون لم؟ لأن الخوف من الله يدفع إلى الاستقامة، ويدفع إلى الطاعة والعمل الصالح، ويمنع من المعاصي.

عباد الله! إن الخائف من الله يحافظ على الصلاة في المسجد، والخائف من الله يُخْرِج زكاة ماله، والخائف من الله يصل الأرحام، والخائف من الله يبر والديه، والخائف من الله لا يقع في المعصية،

---

(١) **صحيح**: طب: (٣/ ٢٠١)، حل: (٢/ ٢١٧)، [«ص. ج» (٩٥)].

(٢) **حسن**: ت: (٢٣١٢)، هـ: (٤١٩٠)، حم: (٥/ ١٧٣)، ك: (٢/ ٥٥٤)، هب: (١/ ٤٨٤)، هق: (٧/ ٥٢)، حل: (٢/ ٢٣٦)، [«ص. ج» (٢٤٤٩)].

(٣) **صحيح**: خ: (٧٠٧٤)، م: (١٠١٦).

والخائف من الله لا يظلم، والخائف من الله لا يقطع الرحم، والخائف من الله لا يزني، والخائف من الله لا يأكل الربا، والخائف من الله لا يكون نماماً، والخائف من الله لا يأكل لحوم الأبرياء. الخوف من الله يدفع صاحبه إلى الطاعة ويمنعه عن المعصية، وبالمثال يتضح البيان:

الله ﷻ لما خوَّف عباده من الموت استقاموا على طاعة الله حتى الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

● ولما خوَّف الله عباده من يوم القيامة استعدوا لهذا اليوم، وتجهزوا وتزودوا له، واسمع ماذا يقول الله عنهم: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٨].

● ولما خوَّف الله عباده من عذاب النار، قاموا طوال الليل يذكرون الله، ويصلون لله قياماً وركوعاً وسجوداً، يدعون الله أن يصرف عنهم عذاب جهنم، قال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٤]، فيا معشر المسلمين، هؤلاء هم أصحاب الجنة، ترى كيف ينامون؟ وكيف يبيتون؟ على شاشات المفسديون! أم على أفلام الفيديو الساقطة! أم في دور السينما والملاهي! أم في مجالس الغيبة والنميمة! فلينظر كل منا أين يقضي ليله؟ وعلى ماذا يسهر بعد العشاء، ابن آدم انظر إلى أهل الجنة كيف باتوا، واسمع إليهم ماذا يطلبون من الله؟ إنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ

عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

الخوف من الله يدفع إلى الطاعة، الخوف من الله يمنع من المعاصي، واللهِ الذي لا إله غيره ولا رب سواه، لو أن آكل الربا يخاف من الله ما أكل الربا، ولو أن المرأة المتبرجة التي باعت لحمها في الشوارع تخاف الله لاستحت أن تبيع لحمها للذئاب في الشوارع.

عباد الله! الخوف من الله يمنع من المعاصي، وبالمثال يتضح البيان:

الخوف من الله يمنعك من الزنا؛ لأن الزاني لا يخاف من الله، أما من ترك الزنا فهو الخائف من الله.

● هذا الذي دخل في الغار مع أولئك الثلاثة الذين دخلوا الغار يقول: «اللهم إنه كانت لي ابنة عم، وكنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمَّت بها سَنَةٌ من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخلي بيني وبين نفسها ففعلت، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، يقول: اللهم إن كنت تركت الزنا من مخافتك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة»(١).

● وهذا يوسف عليه السلام وهو في بيت امرأة العزيز عندما راودته عن نفسه وغلقت الأبواب، وقالت: هيت لك، قال: معاذ الله، أي: إني أخاف من الله ـ حتى أنه قال: رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه. ويقول ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله أن منهم: «**رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله**»(٢).

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٥٢)، م: (٢٧٤٣)، انظر الخبر بتمامه.

(٢) **صحيح**: خ: (١٣٥٧)، م: (١٠٣١).

• الخوف من الله يمنعك يا ابن آدم من ارتكاب جريمة القتل، يقول الله ﷻ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ﴾ الذي لا يخاف من الله ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ﴾ الذي يخاف من الله ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾ [المائدة: ٢٨].

فماذا كانت النتيجة عند الذي لم يخف من الله؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المائدة: ٣٠].

عباد الله! الخوف من الله سبب لسكنى الجنة، فالذين خافوا الله في هذه الدنيا، أَبدلهم الله أمناً يوم القيامة، وأدخلهم الجنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣].

عباد الله! وبهذا يتبين لنا أن من صفات أهل الجنة، أنهم في هذه الدنيا يخافون من الله، فيدفعهم هذا الخوف من الله إلى الطاعة وإلى الاستقامة، وإلى المسارعة بالأعمال الصالحة، ومنعهم خوفهم من الله من ارتكاب المعاصي.

فيا عبد الله، رَبِّ نفسك على الخوف من الله، واعلم بأن الله يراك، واعلم بأن الله مطلع عليك، واعلم بأن الله ﷻ ناظر إليك أينما كنت.

عباد الله! أما أهل النار فإنهم كانوا لا يخافون من الله، ولقد عاشوا في هذه الدنيا واتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا، وكانوا في هذه الدنيا مترفين، وكانوا يسخرون من المؤمنين، وكانوا يُصِرون على الحنث العظيم ـ أي: كانوا يصرون على المعاصي ـ، قال تعالى عن أصحاب النار: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣﴾ [الانشقاق: ١٠ ـ ١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ لَّا

بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر: ٧٥، ٧٦].

فأهل النار أمِنوا في هذه الدنيا فخافوا يوم القيامة، وأهل الجنة خافوا في الدنيا فأمِنوا يوم القيامة، ومن أراد أن يخشى الله ﷻ فعليه أن يتعلم العلم الشرعي علم الكتاب والسنة، وأن يبتغي بذلك وجه الله، وعليه أن يحفظ شيئاً من كتاب الله، فقد أخبرنا الله ﷻ بأن أشد الناس خشيةً لربهم هم العلماء، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

نسأل الله العظيم، رب العرش العظيم،
أن يرزقنا خشيته في السر والعلن





صفات أهل الجنة

٢ ـ إتباع سبيل المؤمنين

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة الأولى من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**الخوف من الله**»، وتبيَّن لنا عباد الله أن أهل الجنة كانوا في هذه الدنيا يخافون من الله، فدفعهم هذا الخوف من الله ﷻ إلى الاستقامة على طاعة الله، وإلى الابتعاد عن معصية الله.

عباد الله! **وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثانية من صفات أهل الجنة ألا وهي: «اتباع سبيل المؤمنين».**

عباد الله! إن للمؤمنين سبيل يوصل إلى رضا الله وإلى الجنة، وكذلك فإن للمجرمين سبيل يوصل إلى رضا الشيطان وإلى النار، والله ﷻ في كتابه بيَّن لنا سبيل المؤمنين بياناً واضحاً، ودعا عباده أن يسلكوه، وأخبرهم أن من سلكه وصل إلى الجنة، وبيَّن ربنا جل وعلا سبيل المجرمين كذلك بياناً واضحاً، وحذر عباده من أن يسلكوه، وأخبرهم أن من سلك سبيل المجرمين وصل إلى رضا الشيطان وإلى النار، كل ذلك عباد الله ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، كل ذلك عباد الله حتى لا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة.

عباد الله! أهل الجنة هم الذين استجابوا لربهم فسلكوا سبيل المؤمنين، واستقاموا عليه حتى ماتوا، ففازوا بجنة عرضها السماوات والأرض.

والسؤال الذي يرد علينا الآن هو:

من هم المؤمنون الذين أمرنا الله ﷻ أن نسلك سبيلهم؟

الجواب: إنهم صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوا سبيلهم بإحسان، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

فتبيَّن لنا عباد الله من هذه الآية أن الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن سلك سبيلهم قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار، وأما من سلك سبيل المجرمين، وسلك سبيلاً غير سبيل المؤمنين فمصيره إلى النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

عباد الله! الصحابة ﷺ من المهاجرين والأنصار أخذوا من النبع الصافي، تعلموا هذا الدين العظيم من رسول الله ﷺ، فتعلموا القرآن من فيّ رسول الله ﷺ، وأخذوا السنة منه قولاً وعملاً وتقريراً، إنهم قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، قوم اختارهم الله لنصرة دينه، ولذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان مستناً فليستن بمن مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[١].

قال ـ تعالى ـ في وصف المهاجرين، والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ

---

(١) انظر: كتاب «لماذا اخترت المنهج السلفي» ص١٠٠.

أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨ ـ ١٠].

ورسولنا ﷺ يثني على أصحابه، ويحذر من الاعتداء عليهم، فيقول ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدِهم ولا نصيفه**»(١). ويقول ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم يجيءُ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»(٢). بل لقد أمرنا ﷺ أن نسلك سبيلهم؛ لأنهم كانوا على الحق المبين، فقد وعظ ﷺ أصحابه يوماً موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً** ـ فماذا نفعل يا رسول الله إذا رأينا اختلافاً كثيراً؟ ـ **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»(٣)، ويقول ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة**» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٤).

عباد الله! من أراد الجنة فعليه بسبيل أصحاب رسول الله لأنهم كانوا على الحق المبين، إنهم قوم عبدوا الله ﷻ بدون إفراط ولا تفريط، كانوا يقفون مع الدليل وهو (قال الله) و(قال رسوله ﷺ) وأما منهجهم في

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٤٧٠)، م: (٢٥٤٠).

(٢) **صحيح**: خ: (٢٥٠٩)، م: (٢٥٣٣).

(٣) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/١٢٦)، هق: (١٠/١١٤) [«ص. غ. هـ» (٣٧)].

(٤) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/٢١٨)، [«ص. ج» (٥٣٤٣)].

العقيدة، فإنهم كانوا يعتقدون أن الله ﷻ واحد في ربوبيته لا رب سواه، وواحد في ألوهيته فلا معبود بحق إلا الله، ويعتقدون أن الله ﷻ له أسماء وصفات تليق بجلاله، ويعتقدون أنها ليست كأسماء أو صفات المخلوقين، فهم يثبتون لله ﷻ من الأسماء والصفات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تأويل، ولا تكييف، ويعتقدون أن الله ﷻ استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله، استواءً ليس كاستواء المخلوقين، ويعتقدون أنه سبحانه وتعالى غني عن العرش وما دون العرش، ويعتقدون أن الله ﷻ ينزل في كل ليلة في الثلث الأخير من الليل نزولاً يليق بجلاله، ويعتقدون أن أهل الجنة يرون ربهم يوم القيامة في الجنة، وهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بكل ذنب ما لم يستحله.

وأما ما يعتقدون في القضاء والقدر، فإنهم يعتقدون بأن علم الله ﷻ محيط بكل شيء، ويعتقدون أن الله ﷻ قد كتب مقادير الخلائق في كتاب عنده قبل خلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، ويعتقدون أن مشيئة الله نافذة في العباد فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ويعتقدون أن الله ﷻ هو خالق كل شيء.

● وأما منهجهم في العبادة فإنهم يعبدون الله ﷻ بما شرع في كتابه، وعلى لسان نبيه بدون إفراط ولا تفريط، ويعبدون الله ﷻ على علم، وهم يحبون السنة ويتمسكون بها بل ويحيونها بين الناس، ويحبون كل من أحب السنة وكل من أحياها، ويبغضون البدعة ويحذرون الناس من البدع ويبغضون أهل البدع والأهواء.

● وأما منهجهم في الدعوة إلى الله، فإنهم يدعون الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، يدعون الناس ببصيرة وعلم، فلا يكفرون أهل المعاصي ولا يقتلونهم، ويجادلون بالتي هي أحسن، ويبشرون الناس ويحذرونهم من عقاب الله انطلاقاً من قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1].

---

(١) **صحيح**: م: (٤٩).

• وأما منهجهم في الجهاد: فإنهم إذا جاهدوا، جاهدوا في سبيل الله فهم يجاهدون فقط لإعلاء كلمة لا إله إلا الله، فهم يعلمون أن رسول الله ﷺ قد سُئِلَ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياءً أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[(١)]، فهم لا يجاهدون من أجل المناصب، ولا يجاهدون من أجل هذه الدنيا الفانية، إنما يريدون بجهادهم إعلاء كلمة (لا إله إلا الله).

عباد الله! وكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا خرجوا للجهاد في سبيل الله عملوا بما أمرهم به رسول الله ﷺ بأن يدعوا الكفار أولاً إلى الإسلام، وبدون إكراه، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فيكفر، وها هو تاريخ الإسلام وما سمعنا فيه أن أحداً دخل في الإسلام مكرهاً، لأنه لا إكراه في الدين، فالجيش المجاهد في سبيل الله إذا دخل بلاد الكفار دعاهم أولاً إلى الإسلام، فإن أسلموا وأصبحوا من المسلمين فقد عصموا دماءَهم وأموالهم وأصبحوا من المسلمين، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، فإن رفضوا الإسلام طالبوهم بالجزية وأن يدفعوها عن يدٍ وهم صاغرون، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩]. فإن أعطوا الجزية كفوا عنهم ولم يقاتلوهم، فإن رفضوا الإسلام ورفضوا أن يدفعوا الجزية فقد قال ﷺ لأمير هذا الجيش: «**فاستعن بالله وقاتلهم**»[(٢)].

• فانظروا عباد الله إلى منهج الإسلام في الجهاد في سبيل الله وكيف يدعو الكفار أولاً إلى الإسلام، وهذا ما نبغي، نريد من الناس جميعاً أن يدخلوا في دين الله أفواجاً لينجوا من عذاب الله في الدنيا

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦٥٥)، م: (١٩٠٤).

(٢) **صحيح**: م: (١٧٣١).

والآخرة، فإن أبوا الإسلام، فعليهم أن يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، فإن رفضوا الإسلام والجزية يقول ﷺ: «**فاستعن بالله وقاتلهم**»(١).

• وانظروا عباد الله إلى منهج الإسلام في قتال الكفار، يقول ﷺ للجيش الذي ذهب لقتال الكفار: «**قاتلوا من كفر بالله اغزو فلا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً**»(٢)، وكذلك لا تقتلوا النساء، ولا تحرّقوا أحداً بالنار، ولا تضربوا أحداً على وجهه.

• انظروا إلى المسلمين في أرض المعركة مع الكفار مع أعداء الإسلام، والنبيُّ ﷺ يقول لهم: لا تغدروا، ولا تمثلوا، أي: لا تمثلوا بجثث الموتى من الكفار بعد موتهم، ولا تقتلوا الولدان، ولا تقتلوا النساء وهؤلاء ما يسمون بلغة العصر (المدنيين)، أي: على الجيش المسلم إذا قاتل في سبيل الله أن لا يقتل إلا من قاتله، وعليه أن لا يقتل ولداً ولا امرأة لأنهم لا يدخلون في القتال، هذا هو الإسلام، وقد رأى رسول الله ﷺ في غزوة من الغزوات امرأة مقتولة فنهى أصحابه أن يقتلوا النساء، هذا هو الإسلام الذي يرحم الصبيان والولدان والنساء ولا يرضى بقتل (المدنيين) في المعارك، إنما يقتل من قاتله لإعلاء كلمة (لا إله إلا الله)، يقول أبو هريرة ﷺ: (بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال: «**إن وجدتم فلاناً وفلاناً** ـ لرجلين من قريش سمّاهما ـ **فأحرقوهما بالنار**» ثم قال رسول الله ﷺ، حين أردنا الخروج: «**إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما**»)(٣)، وقال ﷺ: «ولا تضربوا أحداً على وجهه»، أي: على المسلم المجاهد في المعركة أَلَّا يضرب الكافر على وجهه، إنما يضربه في عنقه أو في بطنه أو في أي مكان؛ لأن هذا الوجه قد جعله الله ﷻ مكرماً لكل الناس فلا يجوز للإنسان أن يضرب إنساناً على وجهه، هذا هو الإسلام، هذا هو منهج

(١) المصدر السابق. (٢) المصدر السابق.
(٣) **صحيح**: خ: (٢٨٥٣).

الصحابة في عقيدتهم، وفي عبادتهم ودعوتهم، وفي جهادهم في سبيل الله، وسط بلا إفراط ولا تفريط، فعليكم ـ عبادَ الله ـ بمنهج الصحابة ﷺ لأنَّ الله أمرنا بذلك، والرسول ﷺ أوصانا بذلك قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥] وقال ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**»(١).

عباد الله! اتباع سبيل المؤمنين سبب لدخول الجنة، ولكن اعلموا عباد الله أن هناك أعداء لهذا المنهج، ولهذا الطريق، ولهذا السبيل الذي يوصل إلى رضا الله والجنة، أحدثكم عن هؤلاء لتكونوا منهم على حذر:

العدو الأول: الكفار: فهم يريدون أن يصدوا الناس عن هذا السبيل، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، الكفار ينفقون أموالهم بالليل والنهار لصد الناس عن سبيل الله، أخبرنا الله ﷻ بذلك فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال: ٣٦]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢﴾ [العنكبوت: ١٢].

العدو الثاني: الكبراء والسادة من أئمة الضلال: قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧﴾ [الأحزاب: ٦٦، ٦٧]. أئمة الضلال يدعون الناس إلى سبيل المجرمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٢٦٨.

كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

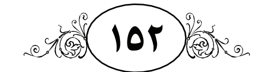
العدو الثالث: الشيطان: فالله ﷻ قال على لسان الشيطان: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]، فالشيطان يصد الناس عن سبيل الله وعن هذا المنهج.

العدو الرابع: الهوى: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

العدو الخامس: قرين السوء وصاحب السوء، يقول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩]، فكونوا يا عباد الله من أعداء الإسلام ومن أعداء سبيل المؤمنين على حذر، وخذوا حذركم، وتعلّموا دينكم، واعتقدوا بالعقيدة الصحيحة، واسلكوا منهج صحابة رسول الله وكونوا على علم، وإذا فعل إنسان ـ أياً كان ـ عملاً مخالفاً للكتاب والسنة أو ابتدع سبيلاً غير سبيل المؤمنين فلنضرب بعمله هذا عرض الحائط.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة

❁ ❁ ❁



صفات أهل الجنة

٣ ـ عدم الاستجابة لقرناء السوء

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة الثانية من صفات أهل الجنة ألا وهي «**اتباع سبيل المؤمنين**»، وتبين لنا عباد الله أن للمؤمنين سبيلاً يوصل إلى رضا الله والجنة، وللمجرمين سبيلاً يوصل إلى رضا الشيطان والنار. وتبين لنا أن أهل الجنة في الدنيا استجابوا لربهم، وسلكوا سبيل المؤمنين ظاهراً وباطناً وعقيدةً ومنهجاً، ففازوا بجنة عرضها السمٰوات والأرض، أخبرنا ربنا ـ جل وعلا ـ بذلك فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، وأخبرنا ربنا ـ جل وعلا ـ أن كل من سلك سبيلاً غير سبيل المؤمنين مصيره إلى النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الثالثة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «عدم الاستجابة لقرناء السوء».

عباد الله! أهل الجنة هم ممن كانوا في هذه الدنيا لا يستجيبون لقرناء السوء ولا لجلساء السوء إذا دعوهم إلى الكفر والعصيان، أو إلى مخالفة أمر الله وأمر رسوله ﷺ، فتعالوا بنا عباد الله لنسمع إلى كلام ربنا وهو يخبرنا عن أهل الجنة بأنهم كانوا في هذه الدنيا لا يستجيبون لقرناء السوء، ولا لجلساء السوء، يقول الله ﷻ: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ

﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الصافات: ٣٣ ـ ٣٩].

فهذا خطاب من الله ﷻ للمجرمين الذين كانوا في هذه الدنيا إذا قيل لهم: (لا إله إلا الله) يستكبرون، ثم استثنى ربنا ـ جل وعلا ـ من هذا العذاب عباده المخلصين، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٤٠ ـ ٦١].

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾، أي: أهل الجنة، وهم على السرر في جنات النعيم يخبرنا ربنا ـ جل وعلا ـ بأنهم قد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، فقال رجل منهم: إني كان لي قرين، أي: إني كان لي صديق، إني كان لي صاحب ملحدٌ كافر لا يؤمن بالبعث ولا بالنشور، ولا بالجنة ولا بالنار، نعم لقد كان هذا القرين الكافر يشكك صاحبه بالبعث والنشور فيقول له ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾، أيّ أَإنا لمبعوثون مرة ثانية؟ لكن لم يستجب هذا المؤمن لهذا الكافر، وثبت على إيمانه وابتعد عنه، فكان مصير هذا المؤمن في جنات النعيم حيث سأل عن هذا القرين ـ أي: عن ذاك الصديق الكافر الذي كان لا يؤمن بالبعث ولا بالحساب ـ ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾

مخاطباً أهل الجنة؟ فاطلع هذا المؤمن فرأى ذاك القرين والصديق الكافر هناك في سواء الجحيم، هناك حيث جماجم تغلي، ولحم يحرق، وزقوم يُؤْكل، وحميم يصب على الرؤوس، فنظر في وسط هذا العذاب فرأى صاحبه هناك فقال هذا المؤمن: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ۝٥٦ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ۝٥٧﴾.

عباد الله! قص الله علينا ذلك لنكون على بينة وعلى علم بأن كل من استجاب لقرناء السوء فمصيره سيكون إلى النار، ومن لم يستجب لقرناء السوء ويثبت على عبادة ربه وعلى منهجه القويم حتى يلقى الله فمصيره إلى الجنة.

● ولذلك أخبرنا ربنا ـ جل وعلا ـ أيضاً عن صاحب استجاب لقرينه السيء، فأضله عن سواء السبيل، فانظروا إلى هذا المسكين الذي استجاب لقرينه الذي دعاه إلى الكفر بعد الإيمان، وإلى المعاصي بعد الأعمال الصالحة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ۝٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ۝٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ۝٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩]. وهذا ندم في وقت لا ينفع فيه الندم، عبادَ الله! لقد استجاب هذا الرجل لقرين السوء فٱنتكس على أم رأسه إلى المعاصي، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا﴾ سواء كان من شياطين الإنس أو من شياطين الجن ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ۝٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ۝٣٨ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ۝٣٩﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٩].

عباد الله! إن الاستجابة لقرناء السوء سبب لكل شر، وعدم الاستجابة لقرناء السوء وجلساء السوء سبب لكل خير، لذلك جاء الإسلام يأمر المسلمين بالاهتمام باختيار الأصدقاء، فلعل لكل منا صديق فلينظر أحدنا هل استجاب لربه في اختيار الصديق أم أنه يصاحب كل من هب ودب ولا هم له إلا الدنيا! فالصداقة والرابطة بين كثير من الناس إنما هي

من أجل مصالح الدنيا فقط، أما الصداقة والمحبة في الله ولله فهي نادرةٌ بين الناس إلا من رحم ربي.

يقول الله ﷻ لرسوله ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨] أي: أصبر نفسك مع الصالحين، واجلس معهم، وعَلِّم من يريدون وجه الله، أي: لا تجالس قرناء السوء، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: إذا جلست مع قوم فألفيتهم يستهزئون بالدين، ويستهزئون بسنة رسولِ اللهِ ﷺ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أيْ: لا تجالسْهُمْ ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ورسولنا ﷺ يقول لكل مسلم: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[١]، ويقول ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[٢]، فانظر يا عبد الله من تخالل.

ويبين لنا ﷺ كيف يجب أن تكون العلاقة بَيْنَ المسلمين، فيقول ﷺ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[٣]، ويقول ﷺ: «**أوثق عُرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله ﷻ**»[٤].

● وهذا لقمان الحكيم يقول لابنه وهو يعظه: (يا بني تخير المجالس

---

(١) **حسن**: د: (٤٨٣٢)، ت: (٢٣٩٥)، حم: (٣/ ٣٨)، مي: (٢٠٥٧)، حب: (٥٥٤)، ك: (٤/ ١٤٣)، [«ص. ج» (٧٣٤١)].

(٢) **حسن**: د: (٤٨٣٣)، ت: (٢٣٨٧)، حم: (٢/ ٣٠٣)، ك: (٤/ ١٨٨)، لس: (٢٥٧٣)، هب: (٧/ ٥٥)، ، [«ص. ج» (٣٥٤٥)].

(٣) **صحيح**: د: (٤٦٨١)، طب: (٨/ ١٣٤)، ش: (٧/ ١٣٠)، هب: (٦/ ٤٩٢)، حل: (٦/ ٣١)، [«ص. ج» (٥٩٦٥)].

(٤) **صحيح**: طص: (١/ ٣٧٢)، [«ص. ج» (٢٥٣٩)].

على عينك، فإنْ وجدت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإن كنت عالماً نفعك علمك، وإن كنت جاهلاً علموك، ولعل الله أن يطلع عليهم برحمة فتصيبك معهم، وإن وجدت قوماً يلهون ويلعبون ولا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإن كنت عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً زادوك غياً، ولعل الله أن يطلع عليهم بنقمة فتصيبك معهم).

فهل ينصح أحدنا ولده أو ابنته بذلك؟! هل يقول له: تخير المجالس يا ولدي على عينك؟! هل كل منا يراقب ولده؟ هل كل منا يراقب ابنته؟ هل يا عبد الله يا من تصلِي هل تعلم أين يذهب ولدك؟ هل تعلم أين تذهب ابنتك وأختك؟ فتاة لم تبلغ بعد تدخن! تسكر! تقرأ كتب الجنس! تكتب رسائل الغرام والحب ولها علاقات مع الشباب وتقول: أفعل ذلك وأنا في السنة الرابعة من المدرسة! فأين أبوها؟ أين أخوها؟ هل تعلم أين تذهب ابنتك عندما تقول لك: أنا ذاهبة إلى صديقتي؟ هل سألت عن هذه الصديقة؟ عن صلاتها وأخلاقها ودينها، أين يذهب ولدك أسألت عن الذين يمشي معهم؟ انتبه؛ فإن كانوا يدخنون فإنه سيدخن، وإن كانوا لا يصلون فإنه لن يصلي، وما خفي كان أعظم؟ ولعل المقام لا يليق أن أذكر كل ما أسمع عبر الهاتف، فلينظر أحدكم من يخالل، لنتعلم من لقمان إذ يقول: يا بني تخير المجالس على عينك؟

ولعل البنت تخرج من البيت فلا تذهب إلى المدرسة! بل إلى لقاءات مع الشباب في الأزقة والطرقات وكلنا يرى ذلك! لعلك ترى الفتاة في المرحلة الابتدائية تقف مع شاب!! فيا عبادَ الله، ما لنا نسمع المواعظ وكل منا يرى بأن هذا الكلام ليس له، لا يا عباد الله، هذا كلام نوجهه للجميع فلينظر كلّ منكم من يخالل ولده، فلينظر أحدكم من تخالل ابنته، عباد الله، أما نتعلم من لقمان وهو يعظ ابنه، ويربيه وقد سجل الله مواعظه في القرآن لنعمل بها.

عباد الله! إلى متى ونحن طوال نهارنا وليلنا للدنيا!؟ ألا يلتفت أحدنا إلى تربية أولاده؟! كيف نرمي بهم في الشوارع؟!، إن الأولاد قبل

البلوغ يعرفون أشياءً واللهِ نحن في هذا السن الذي نحن فيه ما نعرفها، والسبب قرناء السوء، فهذه الفتاة التي لم تبلغ من أين عرفت هذه الكتب التي تُقْرَأُ فيها عن الجنس؟ كيف تعلمت الدخان؟ كيف تشتري هذه الحبوب التي يغيب بها عَقلُها؟ وهذه الفتاة التي تغلق على نفسها الباب وأبوها وأمها يظنان بأنها تدرس، وما يدرون ماذا تفعل إنها تكتب رسائل الغرام! فهل منكم من فتح حقيبة ابنته يوماً وتفقدها؟ هل منكم من حاول أن يخرج يوماً وراء ابنته لينظر أين تذهب؟ إنها تذهب في وقت المدرسة وتعود في وقت المدرسة، لكن أين كانت؟ مع الشباب في الأزقة والطرقات؟! إن الواحد لا ينتبه إلا بعد أن تحمل ابنته ويظهرُ حملها وعندها يقتلها، أهنا تظهر الرجولة؟! لا يا عبد الله استيقظ قبل فوات الأوان، استيقظوا يا عباد الله، واستجيبوا لأمر ربكم ولأمر رسولكم ﷺ، يقول القائل:

عن المرءِ لا تَسَلْ وسَلْ عَنْ قرينِهِ
فكلُ قرينٍ بالمقَارَن يَقْتَدِي

اسأل عنْ صاحب ٱبنِكَ لتعرفَ ولدك؛ فإن جليس السوء يضر ولا ينفع وضرره محقق في الدنيا الآخرة، أما الجليس الصالح فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، ولذلك يضرب لنا ﷺ مثلاً يبين فيه لكل إنسان مع من يجلس، ويوضح أنك إذا كنت تجلس مع الصالحين فستنتفع وستستفيد، وإذا كنت تجلس مع الطالحين فستندم، يقول ﷺ: «**إنما مَثَلُ الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**»(١).

الجليس الصالح ينفعك على كل حال لِمَ؟ لأنه مرآة لك، ولذلك يقول ﷺ: «**المؤمن مرآة المؤمن**»(٢)، المؤمن يأمر صاحبه بالمعروف

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٢١٤)، م: (٢٦٢٨).

(٢) **حسن**: د: (٤٩١٨)، حم: (٢/ ٣٠٠)، خد: (٢٣٩)، هب: (٦/ ١١٣)، هق: (٨/ ١٦٧)، [«ص. ج» (٦٦٥٦)].

وينهاه عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

كم من إنسان كان تاركاً للصلاة ثم حافظ عليها بمجالسة الصالحين؟! كم من إنسان كان آكلاً للربا فتاب من أكل الربا بمجالسة الصالحين؟! كم من امرأة متبرجة تحجبت بمجالسة الصالحات؟ كم من إنسان قتل فتاب عن القتل بمجالسة الصالحين؟، أتذكرون ذلك الذي قتل مائة نفس ثم جلس مع العالِم جلسة واحدة فسأله عن التوبة فقال له: ومَنْ يحول بينك وبينها؟ وأمره ونصحه أن يترك بيئته السيئة ويرتحل إلى بيئة صالحة، فمات الرجل في الطريق ولم يسجد لله سجدة واحدة فدخل الجنة، واستفاد من مجالسة الصالحين.

إن الصديق الصالح إذا جلس معك وذكرتَ اللهَ أعانك، وإذا نسيت ذكَّرك، وإذا غبت عنه دعا لك بظهر الغيب ولم يأكل لحمك، وإذا مرضت عادك، وإذا احتجت ووقعت في كربة ساعدك، وقدم لك ما يملك من مساعدة لأنه يعرف أن من فرَّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

• الصديق الصالح إذا جلس عندك، وأنت في فراش الموت نفعك، لأنه سيقول لك: قل (لا إله إلا الله)، فتقول: (لا إله إلا الله) فتخرج من الدنيا على (لا إله إلا الله) فتدخل الجنة.

• وينفعك كذلك بعد الموت لأنه سيدعو لك ولن ينساك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

• ويوم القيامة الجليس الصالح والقرين الصالح لن ينساك أبداً! في يوم القيامة حيث تنقلب الصداقة إلى عداوة ولكن الصديق الصالح المؤمن لا ينقلب عليك عدواً يومها ولا ينساك ولا يتخلى عنك، يقول رب العزة:

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، ويقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» ـ وذكر ﷺ: ـ «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»(١).

عباد الله! وبيَّن ﷺ أن جليس السوء كنافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة.

فالجليس السيىء يضرك في الدنيا والآخرة:

أما في الدنيا: فهو يأمرك دائماً بالمنكر، وينهاك عن المعروف، وإذا رأى فيك عيباً فلا يصلحه. ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ واصفاً المنافقين: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]، كم من امرأة متحجبة جلست مع قرينة السوء فأمرتها بالتبرج؟ الكثير، كم من إنسان يخاف من الربا فجلس مع قرين السوء فأوهمه حِلَّ الربا بل وتكفل له بأن يكفله في البنك فورطه في الربا؟ كم من إنسان لم يعرف الزنا فوقع في الزنا وأصبح متعلقاً به بسبب قرناء السوء؟ كم من فتاة لا تعرف الحب والغرام فإذا صاحبت قرينات السوء علمنها كيف تكتب رسائل الحب والغرام؟ وكيف تأخذ الحبوب التي تجعلها تغيب عن الوجود، وكيف تدخن في خفية، وكيف تلتقي مع أحبتها وعشاقها، تدريب من قرناء السوء بالليل والنهار، والأمثلة كثيرة...

فرُبَّ شاب لم يعرف الدخان أصبح من المدمنين على الدخان بسبب جلساء السوء! ورُبَّ شاب كان يحافظ على صلاة الجماعة ويحضر دروس العلم فما هي إلَّا أيام وقد انقلب على أم رأسه بسبب قرناء السوء! قرين السوء يأمر صاحبه بالمنكر وينهاه عن المعروف، فيضر صاحبه في الدنيا، وعند الموت، والعاقل من اتعظ بغيره.

- هذا عم رسول الله ﷺ ينام في فراش الموت ويجلس ﷺ عنده

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٢٩)، م: (١٠٣١).

ويقول له: «**يا عم، قل (لا إله إلا الله) كلمة أشهد لك بها عند الله**»[(١)]، ولكن كان عنده أبو جهل فقال له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟[(٢)] أترغب عن ملة الأجداد؟ مت على ملتهم، فمات على ملتهم كافراً، فضره قرين السوء عند الموت. ويوم القيامة سيقول: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين.

فيا إخوة الإسلام! كلٌّ منا يراجع نفسه ليرى من يخالل، من يصاحب، من يجالس؟ كل منكم يعرف أصدقاءه وجلساءَه فإن كانوا صالحين فهو على خير، وإن كانوا طالحين فهو على خطر عظيم، فانظر أمع المدخنين تجلس؟ أمع الذين يستهزئون بكتاب الله وسنة رسوله تجلس؟ أمع الذين يدعون إلى التبرج وإلى الرجعية تجلس؟ مع من تجلس؟ إن كانوا عصاة فسيأمرونك بالمنكر وينهونك عن المعروف، وإن كانوا صالحين فسيأمرونك بالمعروف وينهونك عن المنكر.

فيا إخوة الإسلام! من أراد الجنة فعليه أن يعلم أن أهل الجنة لا يستجيبون لجلساء السوء وقرناء السوء.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يباعد بيننا وبين قرناء السوء



---

(١) **صحيح**: خ: (١٢٩٤)، م: (٢٤).

(٢) المصدر السابق.



صفات أهل الجنة

٤ ـ الدعاء

عباد الله! قال ﷻ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، لذلك فنحن لا زلنا في صدد الحديث عن صفات أهل الجنة، سائلين المولى في علاه أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الرابعة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «الدعاء».

عباد الله! إن أهل الجنة كانوا في الدنيا لا يدعون إلا الله، ولا يطلبون إلا من الله، ولا يرفعون أيديهم إلا إلى الله، فتعالوا بنا عباد الله لنستمع إلى أهل الجنة وهم يخبروننا عن ذلك، يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾ [الطور: ٢٥ ـ ٢٨].

عباد الله! أهل الجنة كانوا لا يتجهون بقلوبهم إلى عبد، ولا إلى صنم، ولا إلى ميت، إنما يتجهون بقلوبهم إلى الحي الذي لا يموت، فيطلبون منه كل ما أرادوا، فانظروا عباد الله إلى حالهم في الدنيا كما وصفهم رب العزة قال ـ تعالى ـ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾ [السجدة: ١٦].

عباد الله! **ولعل سؤالاً يدور في الأذهان وهو:**

لماذا أهل الجنة ـ وهم في الدنيا في دار العمل ـ كانوا لا يدعون إلا الله ولا يطلبون إلا من الله؟ ولا يرفعون أيديهم إلا إلى الله؟

الجواب: على ذلك يا عباد الله ـ لمن أراد أن يتصف بصفاتهم ليكون معهم في جنات النعيم ـ:

أولاً: لأن الله ﷻ أمرهم بدعائه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

ويقول ﷺ آمراً أمته بدعاء الله وحده: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»(١)، ويقول ﷺ: «**إن الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»(٢).

ثانياً: لأن الله وعدهم بالإجابة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، يا ابن آدم، يخبرك رب العزة بأنك إذا دعوته استجاب لك ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

- ومن الأمثلة على الأدعية التي استجابها الله ﷻ لعباده هذا الدعاء العظيم الذي جاء في آخر سورة البقرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فقال الله ﷻ: نعم، أي: قد استجبت لكم.

- وهذا الدعاء الآخر الذي جاء في سورة آل عمران، قال ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ

---

(١) **حسن لغيره**: ت(٣٤٧٩)، ك: (١/ ٦٧٠)، طس: (٥/ ٢١١) [«ص. غ، هـ» (١٦٥٣)].

(٢) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٨)، ك: (١/ ٦٧٠)، [«ص. غ. هـ» (١٦٣٤)].

عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾، يقول الله بعدها: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٢ ـ ١٩٥].

ثالثاً: لأن الدعاء من أعظم العبادات، يقول ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[١]، ثم تلا قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]. فجعل الله ﷻ الدعاء عبادة. ويقول ﷺ: «**أفضل العبادة الدعاء**»[٢]، ويقول ﷺ: «**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**»[٣]، ويقول ﷺ: «**أعجز الناس** ـ أي: المقصر ـ **من عجز عن الدعاء**»[٤].

رابعاً: أهل الجنة يدعون الله ﷻ وحده؛ لأن الله ﷻ يغضب على من لا يدعوه، ولذلك يقول ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ويقول ﷺ: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»[٥].

ابن آدم!

لا تسألن بُنَيَّ آدم حاجةً ... وسل الذي أبوابُهُ لا تُحْجَبُ

الله يغضبُ إنْ تركتَ سؤالَهُ ... وبُنَيُّ آدمَ حينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

إنك إن تطلب من الله بالليل والنهار لا يغضب عليك، وإذا طلبت من ابن آدم مرة تراه إذا أعطاك في المرة الأولى هرب منك واعتذر في

---

(١) **صحيح**: د: (١٤٧٩)، ت: (٢٩٦٩)، هـ: (٣٨٢٨)، حم: (٤/٢٦٧)، حب: (٨٩٠)، ك: (١/٦٧٧)، خد: (٧١٤)، [«ص. ج» (٣٤٠٧)].

(٢) **صحيح**: ك: (١/٦٦٧)، [«ص. ج» (١١٢٢)].

(٣) **حسن**: ت: (٣٣٧٠)، هـ: (٣٨٢٩)، حم: (٢/٣٦٢)، حب: (٨٧٠)، ك: (١/٦٦٦)، خد: (٧١٢)، طس: (٣/٧٣)، [«ص. غ. هـ» (١٦٢٩)].

(٤) **حسن**: حب: (٤٤٩٨)، ع: (١٢/٥)، هب: (٦/٤٢٩)، [«س. ص» (٦٠١)].

(٥) **صحيح**: ت: (٣٣٧٣)، حم: (٢/٤٤٢)، ك: (١/٦٦٧)، خد: (٦٥٨)، طس: (٣/٤٧)، ع: (١٢/١٠)، [«ص. ج» (٢٤١٨)].

المرة الثانية، وفي المرة الثالثة أغلق بابه دونك، وفي المرة الرابعة عبس في وجهك، وفي المرة الخامسة اشتكى لك الفقر، فإياك أن تسأل بني آدم فإنهم فقراء، وسل الذي أبوابه لا تحجب، وتذكر أن الله يغضب عليك إذا تركت سؤاله، وبني آدم حين يسأل يغضب.

خامساً: أهل الجنة يسألون الله ﷻ وحده لأن الله هو الغني، ولأن الله هو الذي يسمع مَنْ دعاه؛ لأن الله هو الذي يعطي من سأله؛ لأن الله هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه.

يقول الله ﷻ مبيناً أنه هو الغني: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، ويقول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]، الجواب من المؤمن الصادق: لا إله إلا الله.

فيا عباد الله! أهل الجنة كانوا في هذه الدنيا يدعون الله وحده، لِمَ؟ لأن الله أمرهم بذلك، ووعدهم بالإجابة، ولأن الدعاء من أعظم العبادات، ولأن الله إذا لم تسأله يغضب عليك، ولأن الله هو الغني، وهو السميع، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه.

فيا عباد الله! من أراد أن يكون من أهل الجنة فعليه أن يطلب من الله ﷻ، فتعالوا بنا لنتعلم من أهل الجنة، فإنهم كانوا يسألون الله الجنة، ويستعيذون بالله من النار، ويطلبون من الله أن ينجيهم من عذاب النار، يقول الله ﷻ واصفاً عباده الصالحين أنهم في دعائهم يقولون: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

ويقول ﷺ: «**من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجره من النار**»(١)، فإذا أردت الجنة فعليك أن تدعو بدعاء أهلها، وإذا أردت أن تنجو من النار فعليك أن تدعو بدعاء أهل الجنة، فتعلموا منهم واتصفوا بصفاتهم، ومن أراد الذرية الصالحة فلا يذهب إلى السحرة والمشعوذين، ولا يدعو الأموات وأصحاب القبور، إنما عليه أن يتعلم من أهل الجنة كيف كانوا يدعون الله ﷻ إذا أرادوا الذرية الصالحة يقول الله ﷻ عنهم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾ [الصافات: ١٠٠، ١٠١]، ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وإذا أعطاك الله الذرية وأردت أن يكونوا من الصالحين فادعُ بدعاء أهل الجنة وقل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤]، وادعُ بدعاء إبراهيم ﵇: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠﴾ [إبراهيم: ٤٠].

• وإذا وقعت في كرب وهَمٍّ فعليك بدعاء ذي النون عندما دعا وقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

• وإذا وقعت في فقر في هذه الدنيا وتخلَّى عنك القريب والبعيد فادْعُ بدعاء موسى ﵇ عندما ذهب إلى ماء مدين، وجلس في الظل توجه بدعاء حزين إلى رب العالمين فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤﴾ فانظروا عباد الله قد استجاب الله له بسرعة ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٤، ٢٥]، ففي الحال يا عباد الله تحصل موسى ﵇ بهذا الدعاء على: زوجة صالحة وعمل صالح، وأمن وأمان لأنه طلب من الله ﷻ.

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥٧٢)، ن: (٥٥٢١)، هـ: (٤٣٤٠)، حم: (٣/٢٠٨)، حب: (١٠٣٤)، [«ص. ج» (٦٢٧٥)].

ابن آدم! إذا أثقل الدَّين ظهرك فعليك بهذا الدعاء: «**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عما سواك**»(١)، فلو كانت عليك ديون كالجبال قضاها الله تبارك وتعالى عنك.

ابنَ آدمَ! قم من الليل وقف بين يدي الله ﷻ وادْعُه فإن الله ﷻ يستجيب الدعاء، والله يعطيك سؤالك، ولكن لا تستعجل فإن الله ﷻ عاجلاً أو آجلاً سيستجيب الله لك، ٱبن آدم وأنت ساجد اطلب ما تريد، وإياك أن تتجه بقلبك إلى غير الله، إياك أن تعتقد أن المشعوذين والسحرة يعطون أو يمنعون، إياك أن تدعو الأموات من دون الله، وعليك بالحي الذي لا يموت.

عباد الله! ومن أراد منكم أن يستجيب الله لدعائه فعليه بما يلي:

أولاً: عليك أن تدعو الله ﷻ في الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، فقد سئل رسول الله ﷺ: أي الدعاء أسمع؟ قال: «**جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات**»(٢).

فيا عبد الله، قم في هذا الوقت الذي ينام فيه الناس، وتوضأ وصلِ ركعتين؛ واطلب من الله ما تريد، إن أردت ذرية صالحة فاطلب من الله، وإن أردت صلاح الذرية فاطلب من الله، وإذا أردت علماً نافعاً فاطلب من الله، وإن أردت صحة ومالاً فاطلب من الله، فإن الله أمرك بدعائه ووعدك بالإجابة وهو قادر على أن يعطيك كل ما سألت.

• ادعُ الله ﷻ بين الأذان والإقامة. يقول ﷺ: «**الدعاء لا يُرد بين الأذان والإقامة فادعوا**»(٣).

---

(١) **صحيح**: ت: (٣٥٦٣)، حم: (١/ ١٥٣)، ك: (١/ ٧٢١)، بز: (٢/ ١٨٥) [«ص. ج» (٢٦٢٥)].

(٢) **صحيح لغيره**: ت: (٣٤٩٩)، [«ص. غ. هـ» (١٦٤٨)].

(٣) **صحيح لغيره**: د: (٥٢١)، ت: (٢١٢)، حم: (٣/ ١٥٥)، خز: (٤٢٥)، حب: (١٦٩٦)، [«ص. غ. هـ» (٢٦٥)].

● ادْعُ الله ﷻ في السجود، يقول ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»(١).

ثانياً: توسل إلى الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى كما قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

سمع ﷺ رجلاً يدعو ويقول: اللهم إني أسألك يا الله (وفي رواية: بالله) (الواحد) الأحد، الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُواً أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم، فقال رسول الله ﷺ عندما سمع ذلك: «**قد غُفر له، قد غفر له**»، ثلاثاً(٢).

ثالثاً: توسل إلى الله بالأعمال الصالحة، كما فعل أولئك الثلاثة الذين دخلوا الغار وأُغلق عليهم بالصخرة، فتوسل كل منهم بعمله الصالح فتوسل أحدهم ببره لوالديه فقال: «اللهم إن كنت تعلم أن هذا العمل ابتغاء وجهك الكريم ففرج عنا ما نحن فيه فتحركت الصخرة ولكن لم يستطيعوا الخروج، وتوسل الثاني بتركه الزنا مخافة من الله ﷻ فقال: «اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة ولكن لم يستطيعوا الخروج.

وقال الثالث: متوسلاً برد الحقوق إلى أصحابها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك الكريم ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون ونجوا من الموت المحقق لأنهم دعوا الله ﷻ وتوسلوا بالأعمال الصالحة»(٣).

رابعاً: إذا أردت أن يستجيب الله لك فعليك أن تأكل من الحلال وأن تشرب من الحلال، وأن تلبس من الحلال، فكثير من الناس في هذا

---

(١) **صحيح**: م: (٤٨٢).

(٢) **صحيح**: د: (٩٨٥)، ن: (١٣٠١)، حم: (٤/٣٣٨)، خز: (٧٢٤)، ك: (١/٤٠٠)، طب: (٢٠/٢٩٦)، [«ص. د» (٨٦٩)].

(٣) **صحيح**: خ: (٢١٥٢)، م: (٢٧٤٣)، انظر الخبر بتمامه.

الزمان يملئون بطونهم من الحرام، ويشربون من الحرام، ويلبسون من الحرام، ويعيشون على الغش، ويعيشون على الرشوة والظلم والكذب ومع ذلك يرفعون أيديهم ويقولون: يا رب! ورسولنا ﷺ ذكر «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!**»[1].

فيا إخوة الإسلام! من أراد منكم أن يكون من أهل الجنة فعليه أن يتصف بصفات أهلها، وإذا أردت أن يستجيب الله لك فعليك بالأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، وتوسل بأسماء الله الحسنى، وتوسل بالأعمال الصالحة، وابتعد عن أكل وشرب الحرام، واتقِ الله في كل ما يدخل في بطنك وبطون أولادك، واعلم أن الجسم الذي ينبت من الحرام فالنار أولى به.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار



---

(١) **صحيح**: م: (١٠١٥).



صفات أهل الجنة

٥ ـ التقوى

عباد الله! في الجمعة الماضية تكلمنا عن الصفة الرابعة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «**الدعاء**»، وتبين لنا عباد الله أن أهل الجنة في هذه الدنيا لا يدعون إلا الله، ولا يطلبون إلا من الله، ولا يرفعون أيديهم إلا لله؛ لأنهم علموا واعتقدوا أن الله وحده هو الذي يستجيب الدعاء، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الصفة الخامسة من صفات أهل الجنة ألا وهي: «التقوى».

عباد الله! يخبرنا ربنا جل وعلا في كتابه أن أهل الجنة ـ وهم في الدنيا في دار العمل ـ كانوا يتقون الله ﷻ سراً وعلانية، بالليل والنهار، ففازوا بسبب ذلك بجنة عرضها السمٰوات والأرض.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الطور: ١٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر: ٤٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر: ٥٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ [المرسلات: ٤١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ [النبأ: ٣١ ـ ٣٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ

وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦١ ـ ٦٣].

عباد الله! من خلال هذه الآيات يتبين لنا أن الذين يتقون الله ﷻ في هذه الدنيا سيسكنون الجنة في الآخرة، أما الذين لا يتقون الله ولا يعرفون التقوى، وأما الذين إذا قيل لهم: اتقوا الله أخذتهم العزة بالإثم، فهؤلاء يسكنون النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

عباد الله! أهل الجنة ـ وهم في هذه الدنيا ـ أمرهم الله ﷻ بالتقوى فقالوا: سمعنا وأطعنا واستجابوا لأمر ربهم، وأخذوا يتزودون بالتقوى في دنياهم، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨]، فلما أمرهم الله ﷻ بالتقوى والاستعداد ليوم القيامة نظر كل منهم في نفسه، وعلم بأن هذا اليوم يحتاج إلى زاد، كما قال رب العزة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ولكنهم عرفوا أن الزاد الذي ينفع عند الرحيل من هذه الدنيا إلى الآخرة هو زاد التقوى، كما قال رب العزة: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فأهل الجنة في دنياهم تزودوا بالتقوى بالليل والنهار سراً وعلانية، لكن لماذا فعلوا ذلك؟

أولاً: لعلمهم أن هذا الزاد هو الذي ينفعهم في سفرهم إلى الدار الآخرة.

ابن آدم:

تزودْ منْ معاشِكَ للمعادِ وقمْ للهِ واجمعْ خيرَ زادِ
ولا تجمعْ منَ الدنيا كثيراً فإن المالَ يُجْمَعُ للنفادِ
أترضى أنْ تكونَ رفيقَ قومٍ لهمْ زادٌ وأنتَ بغيرِ زادِ؟!

ثانياً: تزود أهل الجنة بالتقوى لأنهم يعلمون أن العمر قصير وأنهم يقتربون في كل لحظة من الأجل.

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ وأيامُنَا تُطْوَىٰ وهنَّ مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنَّهُ إذا ما تخطتْه الأمانيُّ باطلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصِّبا فكيفَ بهِ والشيبُ للرأس شاعلُ
ترحَّلْ منَ الدنيا بزادٍ منَ التقى فعمرُكَ أيامٌ وهنَّ قلائلُ

ثالثاً: أهل الجنة تزودوا بزاد التقوى لعلمهم أن الموت يأتي بغتة.

تزودْ منَ التقوى فإنكَ لا تدري إذا جَنَّ ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ
فكمْ من صحيحٍ ماتَ منْ غيرِ علةٍ وكم من عليلٍ عاش حيناً من الدهرِ

عباد الله! أهل الجنة عندما قال الله لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨] استجابوا لأمر ربهم، وتزودوا لهذا اليوم بزاد التقوى.

● وعندما قال الله ﷻ لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩] استجابوا لأمر ربهم، وأخذوا يتزودون بزاد التقوى، بالصدق في دنياهم، وبمجالسة الصادقين؛ لأنهم علموا أن الصدق طريق إلى الجنة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤﴾ [الزمر: ٣٣، ٣٤].

ويقول ﷺ: «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً..**»[١].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

• وعندما قال الله ﷻ لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠] فأمسكوا بألسنتهم عن الغيبة، وعن النميمة، وعن الكذب، وعن شهادة الزور، وعن الخوض في الباطل، وأطلقوا ألسنتهم في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقراءة القرآن، وفي ذكر الله ﷻ لأنهم علموا أن ذلك من القول السديد الذي أمرهم الله تعالى به.

• وعندما قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]، عبدوا الله ﷻ حق عبادته، وذكروا الله ولم ينسوه، فخرجوا من هذه الدنيا على أحسن حال.

عباد الله! أهل الجنة في الدنيا أمرهم الله بالتقوى فعملوا بها واستجابوا لأمر ربهم، أوصاهم الله بالتقوى فأخذوا بوصية الله وعضوا عليها بالنواجذ، ولذلك قطفوا الثمار في الدنيا والآخرة، فللتقوى ثمار في الدنيا، وثمار في الآخرة.

❊ فمن ثمار التقوى في الدنيا:

١ ـ إحياء القلوب: فعندما يتقِي الإنسان ربه يحيي الله ﷻ قلبه، وإذا أحيا الله قلبه فرق بين الحلال والحرام، وفرق بين الإيمان والكفر وبين التوحيد والشرك، وبين السنة والبدعة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]. والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، الذي ينقصنا اليوم هو أن نتقي الله ﷻ لنميز بين الحلال والحرام، والطيب والخبيث، لنميز بين التوحيد والشرك، فكثير من المسلمين اليوم لا يتقون الله فتراهم يأكلون الربا، ويظنون إنهم يحسنون صنعاً، وتراهم يسمحون لنسائهم بالتبرج، ويظنون أن ذلك هو التقدم والحرية، وتراهم يعصون الله ﷻ، والله ﷻ وضع لنا الحل في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾.

٢ ـ أن يجعل الله ﷻ للمتقي في هذه الدنيا مخرجاً من كل ضيق،

وأن يرزقه من حيث لا يحتسب: كما قال رب العزة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، نريد أن نجعل من هذه الآية عقيدة في قلوبنا، لا أن نكتبها على الجدران ولكن لنعمل بها لتكن عقيدة نموت عليها.

٣ ـ أن ييسر الله أمر المتقي له في الدنيا: فما من طريق يسلكه إلا وييسره الله له كما قال رب العزة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

٤ ـ التقوى تدفع صاحبها إلى الطاعة: ولذلك إذا وجدتم إنساناً يقبل على طاعة ربه بالليل والنهار، وعلى طلب العلم، وعلى حفظ القرآن فاعلموا بأن في قلبه تقوى.

٥ ـ التقوى تحول بينك وبين المعاصي: فالتقوى تمنعك من المعصية بل وتمنعك من أن تفكر في المعصية، فالتقي في هذه الدنيا إذا فكر في المعصية تذكر الوقوف بين يدي الله يوم القيامة فابتعد عن المعصية.

كما قال رب العزة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١]، ومن ثمرات التقوى أنك إذا وقعت في المعصية أو اقترفت المعصية دفعتك التقوى إلى التوبة وإلى الرجوع إلى الله ﷻ قبل الموت، قال تعالى في وصفه للمتقين: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وذكر من صفاتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وانظروا إلى هذا الذي همَّ أن يزني بابنة عمه فلما قدر عليها، وجلس بين رجليها كما يجلس الرجل مِنْ زوجته، قالت له الفتاة: اتقِ الله

ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فلما ذكرته بالتقوى قام ولم يزنِ بها، وترك لها العشرين ومائة دينار وقال: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فاستجاب الله له لأنه ترك الزنا مخافة من الله.

*** ومن ثمرات التقوى في الآخرة:**

١ ـ أنك تتحصل بالتقوى على رحمة الله: فالله ﷻ يوم القيامة لا يرحم إلا المتقين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أيها العاصي، أيها المجرم، أيها المفرط في جنب الله، أيها الآمن من مكر الله، اعلم بأن الله الذي أخبر عن نفسه بأنه غفور رحيم، أخبر كذلك بأنه شديد العقاب.

٢ ـ تكون يوم القيامة من أكرم الناس عند الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٣ ـ التقوى تنجيك على الصراط من نار جهنم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢].

٤ ـ التقوى تجعلك من أهل الجنة: كما قال رب العزة: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣].

عباد الله! التقوى لا تباع ولا تشترى، ولكن من أراد أن يتحصل على التقوى فعليه بما يلي:

أولاً: على الإنسان أن يجتهد بالليل والنهار، للتمسك بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣]، أي: تمسكوا بما آتيناكم، أي: تمسكوا بالكتاب والسنة، واعملوا بما فيهما لعلكم تتقون، فكلما تمسكت بالكتاب والسنة تحصلت على التقوى.

ثانياً: عليك بالاجتهاد في عبادة الله ﷻ، فبالعبادة تتحصل على التقوى كما قال رب العزة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١].

والعبادة التي تتحصل منها على التقوى هي العبادة التي يتوفر فيها شرطان اثنان:

الشرط الأول: الإخلاص لله ﷻ في هذه العبادة.

الشرط الثاني: موافقة هذه العبادة لسنة رسول الله ﷺ؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[١]، وقد جمع الله ﷻ بين هذين الشرطين في آخر آية من سورة الكهف: فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

ثالثاً ـ من أراد أن يتحصل على التقوى: فعليه بالقرآن الكريم تلاوة وحفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً بما فيه، فالقرآن تجارة رابحة، يقول الله ﷻ مبيناً أن من تمسك بالقرآن وعمل بما فيه أورثه الله التقوى، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

رابعاً ـ من الأمور التي يتحصل بها الإنسان على التقوى: إقامة حدود الله في الأرض، إقامة الحد على القاتل، إقامة الحد على السارق، إقامة الحد على الزاني، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٩].

أمة الإسلام! أما آن الآوان أن نطبق شرع الله، لنتحصل على الأمن والأمان والتقوى. عبادَ الله! جربنا قوانين الشرق والغرب وما زادنا ذلك إلا طغياناً وخوفاً وضلالاً، أما آن الآوان أن نعود إلى شرع الله لنطبق حدود الله؟ لنعيش وأولادنا ونسائنا في أمن وأمان.

خامساً ـ ومن الأمور التي يتحصل الإنسان بها على التقوى: العلم الشرعي:

علم الكتاب والسنة، فأقبلوا على الكتاب والسنة لتميزوا بين الحلال

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٥٥٠)، م: (١٧١٨).

والحرام، والطيب والخبيث، فالعلم الشرعي سبب للتقوى، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

اللهم ارزقنا علماً نافعاً

* * *